

اجاثا كريستي
القضية الكبرى

أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

القضيَّة الكُبْرى

The Mysterious Affair at Styles

عندما وُجدت «أميلي إنجلثروب» مقتُولة بالسّم قام الكابتن «هاستنجز» – الذي يُقيم مع عائلته – بالاستعانة بصديقة القديم «بوارو» مفتش المباحث لحلِّ هذه القضيَّة البَشعَة. وعندما توجّهت أدلّة الاتهام نحو أحد أفراد الأُسْرة على وجْه التحّديد قام «بوارو» بالاسْتعانة بتحقيقاته المنْهجيَّة لإثبات أن القاتل هو شَخصٌ آخر بعيدًا عن هذه الأُسْرة.

ثمن الكتاب

لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	150 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الأردن	2 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	3 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	العراق	4000 دينار

ISBN 995338326-X
9789953383262

القضية الكبرى

برنارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

القضية الكبرى

(73)

تاليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

الإدارة العامة والتوزيع

تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

ص.ب 374 جونيه – لبنان

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي – دار البشير

تاليف

Agatha Christie

الاسم الأصلي للرواية

The Mysterious Affair at Styles

(1920)

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

- 1 -

قضية "ستايلز"

انحسر الآن الاهتمام الضخم الذي أثارته في الرأي العام، القضية التي عُرفت في حينها باسم "**قضية ستايلز**" . ولكن نظرًا للشهرة الكبيرة التي أصابتها هذه القضية، فقد طلب إليّ صديقي "**بوارو**" وأبطال القضية أنفسهم أن أكتب القصة كاملة.. وإني لأرجو أن يؤدي ذلك إلى القضاء نهائيًا على الشائعات التي لا تزال تتردد بشأنها. وسأبدأ الآن بأن أذكر في إيجاز الظروف التي أدت إلى اشتراكي في هذه القضية، فأقول إنني أصبت بجرح في جبهة القتال في "**فرنسا**"، وبعد أن قضيت بضعة شهور مملة في أحد بيوت النقاهة.. منحت إجازة مرضية لمدة شهر.. وبينما أنا أفكر في: كيف وأين أقضي هذه الإجازة إذ بي ألتقي مصادفة بصديقي "**چون كافنديش**".

لم أكن قد قابلته منذ بضع سنوات.. والواقع، أن صلتي به لم تكن وثيقة، على الرغم من أنني كثيرا ما قضيت الإجازة في قصر "**ستايلز**" وأنا صبي؛ ذلك لأنه كان أكبر مني بنحو خمسة عشر عامًا، وإن كان مظهره لا يدل إطلاقًا على أنه في الخامسة والأربعين من عمره. وأعاد اللقاء إلى أذهاننا ذكريات الماضي البعيد.. وانتهى الحديث بأن دعاني إلى قضاء إجازتي في "**ستايلز**" وقال:

– سوف يسرُّ أمي أن تراكَ بعد كل هذه السنين.

فسألته:

– هل هي في صحة جيدة؟

– نعم.. ألا تعلم أنها تزوجت مرة أخرى؟

ولم أستطع إخفاء دهشتي، فقد كانت السيدة "**كافنديش**" امرأة فاتنة في الحلقة الرابعة من عمرها حين تزوجت والد "**چون**"، وكان وقتئذ أرملاً وله ولدان،

ولكن لابد أنها الآن في السبعين أو تجاوزتها.. وكنت أعرف أنها امرأة نشيطة، قوية الإرادة، مستبدة برأيها، تميل إلى الأعمال الخيرية والأنشطة الاجتماعية.. كما أنها كريمة إلى أقصى حد، وتملك ثروة طائلة.. وكان السيد "**كافنديش**" قد ابتاع قصر "**ستايلز**" عقب زواجهما.. ولكن خضوعه لزوجته كان عظيمًا إلى الحد الذي جعله يوصي لها بالقصر، وبالجانب الأكبر من ثروته، وظلم بذلك ولديه ظلمًا فادحًا ولكن زوجة الأب كانت سخية جدًا مع الولدين.. وكان الولدان يحبانها كأمهما. وكان "**لورنس**"، أصغر الولدين، وكان شابًا رقيقًا، وقد تخرج في كلية الطب، لكنه تخلى عن مهنته وأقام في القصر وانصرف إلى الأدب والشعر. أما "**جون**"، الابن الأكبر، فقد مارس المحاماة بعض الوقت، ثم اعتزلها، وعاش في "**ستايلز**" كسيد من سادة الريف وتزوج منذ عامين، وجاء بزوجته إلى القصر، وخيّل إليّ من حديثه أنه يفضل أن تمنحه زوجة أبيه مبلغًا إضافيًا كل شهر؛ لكي يعيش مع زوجته في بيت خاص بهما. ولكن السيدة "**كافنديش**" لم تكن المرأة التي تخضع لرغبات الآخرين. كانت تصرف الأمور على هواها، وتتوقع من الآخرين الرضوخ لإرادتها.. وكانوا يرضخون؛ لأن المال في يدها، وقد لاحظ "**جون**" دهشتي حين سمعت نبأ زواج المرأة التي يدعوها بأمه، فابتسم وقال بحدة:

– وأي زوج ذلك الذي جاءت به!! الواقع يا "**هاستنجز**" أن هذا الزواج جعل الحياة لا تطاق بالنسبة إلينا.. وبالنسبة إلى "**إيفيلين**" كذلك.. هل تذكر "**إيفيلين**"؟

– كلا.

– آه.. أظن أنك لم ترها.. إنها مرافقة أمي.. وهي ليست شابة، وليست جميلة، ولكنها امرأة صريحة ومخلصة.

– كنت تريد أن تقول شيئًا عن..

– آه.. عن ذلك الرجل الذي تزوجته أمي.. إنه هبط علينا من حيث لا ندري.. جاء بصفته ابن عم "**إيفيلين**".. أو قريبها.. ولم يبدُ على "**إيفيلين**"

نفسها أنها فخور بهذه القرابة.. إنه لا ينتمي إلى بيئتنا أو مجتمعنا.. له لحية ضخمة سوداء.. ويرتدي الثياب الجاهزة نفسها في جميع الأجواء، ولكن يبدو أنه راق لأمي، فاتخذته سكرتيرا لها.. إنها شغوف بإدارة المئات من الجمعيات والمؤسسات الخيرية.. هل تعلم ذلك؟

فأومأت برأسي علامة الإيجاب.

ثم قال:

– وبسبب الحرب، أصبحت المئات آلافًا، ولا شك في أن الرجل كان خير عون لها، ولكنك تستطيع أن تتصور مدى دهشتنا وذهولنا حين أعلنت منذ ثلاثة أشهر أنها ستقترن به. إنه أصغر منها بعشرين عامًا على الأقل، وواضح أنه اقترن بها طمعًا في ثروتها، ولكن ماذا كان في استطاعتنا أن نفعل؟ إنها سيدة نفسها ولا سلطان لنا عليها.. وهكذا كان لها ما أرادت.

– لابد أن ذلك كان صدمة لكم جميعًا؟

– بل كان صدمة مزعجة إلى أقصى حد.

وبعد ثلاثة أيام من هذا الحديث، سافرت بالقطار إلى "ستايلز" ووجدت "چون" في انتظاري في المحطة الصغيرة القائمة وسط الحقول الخضراء، فرافقني في سيارته إلى قرية "ستايلز" التي تبعد عن المحطة نحو ثلاثة كيلومترات، أما قصر "ستايلز" فكان يقع على مسافة كيلو متر من الجانب الآخر للقرية.

وكان من المستحيل على من ينظر إلى الوديان الخضراء الهادئة، المترامية في تلك المنطقة المسطحة في ذلك اليوم الحار من شهر تموز (يوليو) أن يتصور أن هناك حربًا ضروسًا تضطرم في الجانب الآخر من بحر "المانش". حتى لقد شعرت فجأة كأنني أهيم في عالم آخر. قال "چون" حينما اقتربنا من القصر:

– أخشى أن تجد الحياة هنا أهدأ مما توقعت يا "هاستنجز".

– ذلك الذي أرجوه يا صديقي العزيز.

– إن الإقامة هنا ممتعة لمن ينشد حياة الخمول.. أنا شخصيًا أتدرب مع الجنود

المتطوعين مرتين في الأسبوع، كما أنني أعاون في أعمال المزرعة. أمّا زوجتي فإنها تشرع تحلب الأبقار في الخامسة من صباح كل يوم، وتستمر في أعمالها حتى موعد تناول الغداء. إن الحياة رائعة في مجموعها، ولولا ذلك المدعو "**ألفريد إنجلثروب**".

ثم أوقف السيارة فجأة ونظر إلى ساعته وهو يقول:

– لا أدري إذا كنّا نستطيع اصطحاب "**سنثيا**" معنا.. ولكن لا.. لقد فات الآن موعد انصرافها من المستشفى.

– "**سنثيا**"؟ هل هي زوجتك؟

– كلا.. إنها ربيبة أمي. كانت أمها صديقة لأمي، ثم تزوجت محاميًا سافلاً بدد كل ثروتها. وبقيت بعد موت أمها يتيمة بغير مال أو عائل فكفلتها أمي، وجاءت بها للإقامة معنا منذ عامين. وهي تعمل الآن في مستشفى "الصليب الأحمر" في "**تادمنستر**" على بعد عشرة كيلومترات من هنا.

ووقفت بنا السيارة أخيرًا أمام القصر، فاعتدلت سيدة بدينة كانت منحنية في حقل الزهور ونظرت نحونا، فهتف "**چون**" قائلاً:

– مرحبًا.. "**إيفيلين**".. ها هوذا بطلنا الجريح.

ثم التفت إليّ وقال:

– هذه الآنسة "**إيفيلين هوارد**" يا "**هاستنجز**".

وشدّت "**إيفيلين**" على يدي بحرارة وقوة..

كانت في نحو الأربعين من عمرها، ولها وجه لفحته الشمس، وعينان زرقاوان، وصوت خشن كأصوات الرجال.. وقد لاحظت أنها تتكلم بإيجاز بأسلوب البرقيات، وقالت:

– الأعشاب هنا تنمو بسرعة مذهلة.. إذا قطعت عودًا نبت عودان.

فسألها "**چون**":

– أين سنتناول الشاي اليوم يا "**إيفيلين**"؟ في البيت أم في الحديقة؟

– في الحديقة.. الجو صحو، وحرام قضاء الوقت بين الجدران.

- إذن هلمي معنا.. إنك عملت اليوم في الحديقة بما فيه الكفاية.

فأجابت وهي تخلع قفازيها:

- أعتقد ذلك.

وتقدمتنا، ودارت بنا حول البيت إلى حيث كانت مائدة الشاي في ظلّ شجرة جميز ضخمة. ونهضت سيدة شابة كانت تجلس أمام المائدة، وتقدمت بضع خطوات لاستقبالنا، فقال "**چون**":

- هذه "**ماري**".. زوجتي..

ولن أنسى ما حييت هذا اللقاء الأول مع "**ماري كافنديش**".. فلقد رأيت أمامي شابة طويلة القامة، نحيلة الجسم، لها عينان رائعتان تختلفان عن عيني أية امرأة وقع عليها بصري، عينان تنمان عن روح جامحة وحيوية دافقة حبيستين في جسد أليف. حيتني بكلمات قليلة لطيفة، وبصوت خافت واضح النبرات، فجلست على أحد المقاعد وأنا أشعر بسعادة حقيقية؛ لأنني لبَّيت دعوة "**چون**". وقدمت إليّ "**ماري**" قدحًا من الشاي، ودعمت ملاحظاتها القليلة الهادئة انطباعاتي عنها من أنها امرأة فاتنة حقًّا. ولم يكن "**چون**" محدثًا لبقًا.. فانطلقت أروي بعض الأحداث المضحكة التي عشتها في بيت النقاهة.. وراحت "**ماري كافنديش**" تصغي إليّ بانتباه واهتمام أطلقا لساني من عقاله. وبعد قليل سمعت صوتًا مألوفًا صادرًا من شرفة قريبة يقول:

- عليك إذن أن تكتب إلى الأميرة يا "**ألفريد**"، أمّا أنا فسأكتب إلى السيدة "**تادمنستر**".. أو لعلك ترى من الأفضل أن تنتظر رد الأميرة أولاً، فإذا رفضت كتبنا إلى السيدة؛ لكي تفتتح السوق الخيرية في اليوم الأول، على أن تفتتحها السيدة "**كروسبي**" في اليوم الثاني، ثم هناك الحفلة المدرسية التي ستقام تحت رعاية الدوقة.

وهنا سمعت صوت رجل يتمتم بكلام لم أتبينه، وأجابت السيدة "**إنجلثروب**":

ـ حسن.. ليكن ذلك بعد تناول الشاي يا عزيزي **"ألفريد"** .

وفتح باب الشرفة على مصراعيه، وخرجت منه سيدة عجوز ذات شعر أبيض.. ووجه تنم قسماته عن قوة الإرادة ومضاء العزيمة.. فسارت على العشب وتبعها رجل راح يمشي وراءها باحترام، ووقع بصرها عليَّ فهتفت قائلة:

ـ ما أسعدني برؤيتك بعد كل هذه السنين يا سيد **"هاستنجز"** !

ثم قدمتني إلى الرجل الذي يسير خلفها بقولها:

ـ هذا هو السيد.. **"هاستنجز"** يا عزيزي.. **"ألفريد"** .

وقدمته إليَّ قائلة:

ـ وهذا زوجي.

فنظرت بشيء من الفضول إلى عزيزها **"ألفريد"** .. ولم ادهش لنفور **"چون"** من لحيته، فقد كانت أطول وأحلك سواداً من أية لحية رأيتها من قبل. كان يضع على عينيه نظارة ذات إطار ذهبي.. وخُيِّل إليَّ حين رأيته أنه إنسان منقطع الصلة بواقع الحياة، وأن مكانه الطبيعي هو خشبة المسرح. شدّ على يدي كأنها قطعة من خشب. وقال بصوت عميق:

ـ يسعدني لقاؤك يا سيد.. **"هاستنجز"** .

ثم تحوَّل إلى زوجته وقال:

ـ أظن أنّ هذه الوسادة قد أدركتها الرطوبة يا عزيزتي **"أميلي"** .

فنظرت إليه بوله، بينما راح هو يستبدل بالوسادة وسادة أخرى بعناية شديدة.. وخيَّم على الجميع وجوم مشوب بالكراهية.. ولم تحاول **"إيفيلين"** إخفاء مشاعرها.. ولم تلاحظ السيدة **"إنجلثروب"** .. وراحت تتكلم بطلاقتها المعهودة. وتركز حديثها حول السوق الخيرية والاجتماعات التي تنظمها، بينما زوجها يتتبع حديثها باهتمام ويعاونها على تذكر الأيام والتواريخ. وقد شعرت منذ اللحظة الأولى ببغض شديد لهذا الرجل، وأنا أعلم أنّ انطباعي الأول قلما يخطئ... وتحولت السيدة **"إنجلثروب"** أخيراً إلى **"إيفيلين هوارد"** ، وراحت تصدر إليها

بعض التعليمات بشأن الرسائل.. والتفت "**ألفريد إنجلثروب**" إليَّ وقال:

– هل الجندية مهنتك يا سيد "**هاستنجز**"؟

– كلا، فقد كنت قبل الحرب أعمل في شركة "**اللويد**" للتأمينات البحرية.

– وهل ستعود إلى وظيفتك بعد انتهاء الحرب؟

– قد أعود إليها.. وقد أبدأ عملاً جديداً.

وهنا انحنت "**ماري كافنديش**" إلى الأمام وسألت:

– ما المهنة التي تتفق مع ميولك يا سيد "**هاستنجز**"؟ هل لك هواية خاصة؟

– ستضحكين إذا عرفت هوايتي.

فابتسمت وقالت:

– أحقًّا..؟

– الواقع أنني أشعر في قرارة نفسي برغبة في أن أعمل بوليسًا سريًّا.

مع "**اسكتلانديارد**" بصفة خاصة كـ"**شارلوك هولمز**"! إن هذه المهنة تستهويني.. ولقد قابلت في **بلچيكا**" ذات مرة بوليسًا سريًّا مشهوراً، ألهب حماستي لهذه المهنة. كان يقول دائمًا إن براعة البوليس السري الناجح تتجلى في أسلوبه في العمل.. وقد اقتنعت بأسلوبه، وعكفت على دراسته.

فقالت "**إيفيلين**":

– أنا شخصيًّا أحب القصص البوليسية الجيدة، فهناك روايات بوليسية سخيفة، تكشف عن المجرم في الفصل الأخير.. وهو ما لا يحدث في الجرائم الواقعية حيث يمكنك معرفة القاتل من أول وهلة.. فقلت:

– ولكن توجد جرائم واقعية كثيرة لم يكتشف مرتكبوها.

– قد لا يكتشفها رجال الشرطة.. ولكن أفراد الأسرة التي وقعت فيها الجريمة.. غالبًا ما يعرفون المجرم الحقيقي.. وإن كانوا لا يملكون الأدلة.

– هل معنى ذلك أنه إذا وقعت جريمة قتل في بيتك، أمكنك معرفة القاتل على الفور؟

ـ بالتأكيد.. ربما أعجز عن تقديم الأدلة.. ولكني أشعر به وأعرفه بإحساسي.

ـ وإذا كان القاتل امرأة؟

فقالت "**ماري كافنديش**" بصوت واضح النبرات:

ـ إن القتل من جرائم العنف، التي لا يرتكبها إلا الرجال.

ـ لا أظن أنك ستعرفين القاتل بإحساسك.. إذا كانت الجريمة قد ارتكبت بالسم.. لقد قال الدكتور **باور شتاين**" أمس إن أغلبية الأطباء لا يعرفون السموم غير المألوفة؛ ولذلك فهو يعتقد أن كثيراً من جرائم السم قد مرَّت دون أن يفطن إليها أحد.

فصاحت السيدة "**إنجلثروب**":

ـ ما هذا الحديث المزعج يا "**ماري**".. إن جسدي يقشعر لسماعه.. آه! ها هي "**سنثيا**"..

ورأيت فتاة في مقتبل العمر ترتدي معطفا أبيض تقبل نحونا مسرعة، فاستطردت السيدة "**إنجلثروب**" قائلة:

ـ لماذا تأخرت اليوم يا "**سنثيا**"؟ دعيني أقدم إليك السيد "**هاستنجز**"....

كانت "**سنثيا**" في عنفوان شبابها، ممتلئة نشاطًا وحيوية، فخلعت قبعتها، وأعجبني شعرها الأحمر الطويل، كما أعجبتني يدها الصغيرة البيضاء حين مدَّتها لتتناول قدح الشاي. وجلست "**سنثيا**" على العشب جوار "**چون**"، فقدمتُ إليها صحفة الشطائر.. فابتسمت لي وقالت:

ـ لماذا لا تجلس على العشب؟ إنها جلسة مريحة.

فاطعتها على الفور وسألتها:

ـ هل تعملين في مستشفى "**تادمنستر**" يا آنسة "**سنثيا**"؟

ـ نعم، لسوء الحظ.

ـ لماذا؟ هل يضايقونك كثيراً هناك؟

فصاحت في كبرياء:

– من ذا الذي يجرؤ على مضايقتي؟

– لي ابنة عم تعمل ممرضة.. وهي ترتجف رعبًا من كبيرة الممرضات..

– ولكنني لست ممرضة، ولله الحمد.. إنني أعمل في الصيدلية.

فقلت لها وأنا أبتسم:

– وكم شخصًا قتلت بالسم؟

فابتسمت بدورها وأجابت:

– مائة.

وهنا قالت السيدة "**إنجلثروب**":

– هل تستطيعين أن تكتبي لي بضع رسائل بعد تناول الشاي يا "**سنثيا**"؟

– بالتأكيد يا عمتي.

وانبعثت واقفة على الفور.. ونبهتني طاعتها إلى مركزها في البيت كفتاة يتيمة تعيش من كرم أصحابه.. وإلى أن السيدة "**إنجلثروب**" على الرغم من لطفها وعطفها لا تسمح للفتاة بأن تنسى ذلك. وتحولت السيدة "**إنجلثروب**" إليَّ وقالت:

– سيرشدك "**چون**" إلى غرفتك، ونحن نتناول العشاء عادة في السابعة والنصف.. لقد كففنا عن تناول العشاء في وقت متأخر؛ اقتصادًا للطاقة.. والسيدة "**تادمنستر**" تفعل مثل ذلك.. وهي تقرني على أننا يجب أن نضرب المثل في الاقتصاد.. فنحن في وقت حرب ويجب أن نقتصد في كل شيء.. حتى الأوراق المهملة أصبحنا نحرص عليها ونضعها في زكائب، ونبعث بها إلى الجهات التي يمكنها الاستفادة منها.

فعبَّرت لها عن تقديري، ورافقني "**چون**" إلى داخل البيت، وارتقى بي سلمًا ينتهي بشعبتين، تؤدي إحداهما إلى الجناح الأيمن وتؤدي الأخرى إلى الجناح الأيسر. وكانت غرفتي تقع في الجناح الأيسر، وتطل على حديقة القصر. وتركني "**چون**"، وبعد بضع دقائق رأيته من نافذتي وهو يسير في

الحديقة متأبطًا ساعد "**سنثيا**"، ثم سمعت السيدة "**إنجلثروب**" وهي تدعو "**سنثيا**" بصوت ينم عن الضيق ونفاد الصبر، فأسرعت الفتاة تعدو نحو المنزل. وفي اللحظة نفسها خرج رجل من خلف إحدى الأشجار وسار في الاتجاه نفسه. كان الرجل في نحو الأربعين، أسمر البشرة، حليق الوجه. تبدو عليه دلائل الانفعال، وعندما مرّ أمامي ونظر إلى نافذتي عرفته على الفور.. على الرغم مما طرأ عليه من تغيير خلال الأعوام الخمسة عشر التي لم أره فيها. كان هذا الرجل هو "**لورنس كافنديش**"، الأخ الأصغر لـ"**چون**"، وقد عجبت لدلائل الانفعال التي تبدو على وجهه وتساءلت؛ ترى ما سببها؟ ولكني لم أفكر في الأمر طويلاً.. وعدت إلى أمتعتي أرتبها. وكان اليوم التالي مشرقًا جميلاً.. ولم أر "**ماري كافنديش**" إلاّ وقت الغداء، ولكنها تطوعت بعد ذلك لمرافقتي في جولة في الحقول والغابات، وكانت جولة ممتعة، عدنا منها حوالي الساعة الخامسة. وبينما كنا نجتاز البهو.. أومأ "**چون**" إلى قاعة الاستقبال فتبعناه إليها.. وكان تجهم وجهه يدل على أن شيئًا مزعجًا قد حدث. وما إن دخلنا القاعة حتى أغلق بابها، وقال يحدث زوجته:

– أصغي إليَّ يا "**ماري**".. إننا في مازق، فقد تشاجرت "**إيفيلين**" مع "**ألفريد إنجلثروب**" وقررت الرحيل.

– "**إيفيلين**"؟!!

– نعم، وقد ذهبت لمقابلة أمي.

وفتح الباب في هذه اللحظة ودخلت "**إيفيلين هوارد**".

كانت مطبقة الشفتين، بادية الانفعال، وبيدها حقيبة صغيرة. قالت في غيظ:

– مهما يكن من أمر فقد قلت له رأيي فيه، كذلك قلت لـ"**أميلي**" كلامًا لا أعتقد أنها ستنساه، أو ستغفره بسهولة. قلت لها: «إنك امرأة عجوز يا "**أميلي**".. وليس هناك من هو أشد غفلة من مغفل عجوز.. إن هذا الرجل أصغر منك بعشرين سنة على الأقل. فلا يجب أن تتغافلي عن الأسباب التي دعته إلى الاقتران بك.. إنه

اقترن بك طمعًا في ثروتك.. فلا تدعيه يغترف من مالك أكثر مما ينبغي .. إن لذلك المزارع زوجة جميلة تدعى "**ريكس**". فاسألي زوجك "**إنجلثروب**" كم من الوقت يقضي عند "**ريكس**"؟»

وقد غضبت "**أميلي**" غضبًا شديدًا.. وهذا أمر طبيعي، ولكنني قلت لها: «إنني أحذرك سواء أردت أم لم تريدي، فهذا الرجل يفضل أن يقتلك في فراشك على أن ينظر إليك. إنه رجل سوء.. قولي ما شئت.. ولكن تذكري أنني حذرتك...».

– وماذا قالت؟

فراحت "**إيفيلين**" تقلّد "**إنجلثروب**" وتقول:

– « "**ألفريد**" العزيز... "**ألفريد**" الحبيب، هذه وشايات وأكاذيب.. كيف تجرئين أيتها الشريرة على اتهام زوجي العزيز؟» ولذلك رأيت أنه من الأفضل أن أرحل.. وهأنذا راحلة.

– الآن؟

– الآن..

فران علينا صمت عميق، وجعلنا ننظر إليها في حيرة ودهشة ثمَّ حاول "**چون كافنديش**" أن يثنيها عن عزمها، ولما فشل.. غادر الغرفة ليستفسر عن مواعيد القطار، وتبعته زوجته. وما إن أغلقا الباب خلفهما حتى تغيرت ملامح "**إيفيلين هوارد**" وانحنت إلى الأمام وقالت:

– يا سيد "**هاستنجز**".. هل أستطيع الوثوق بك؟

ووضعت يدها على ذراعي واستطردت قائلة في همس:

– إن "**أميلي**" امرأة مسكينة. فحاول حمايتها يا سيد "**هاستنجز**".. إنها هنا وسط مجموعة من الحيتان.. ليس بينهم واحد لا يعاني ضائقة مالية.. وجميعهم يسعون وراء ثروتها.. لقد كنت أقوم بحمايتها.. ولكني سأذهب وأخلي لهم الجو.. وسوف يفرضون أنفسهم عليها.

– اطمئني يا آنسة "**هوارد**" .. سأبذل قصارى جهدي، ولكني واثق بأنك لم تصدري ما قلت إلاَّ عن إحساس بالضيق والانفعال.

وفي هذه اللحظة، سمعت صوت محرك السيارة، فنهضت الآنسة "**هوارد**" واقفة وحملت حقيبتها وسارت إلى الباب. وهناك تحولت إليَّ وقالت:

– عليك بصفة خاصة أن تراقب ذلك الشيطان.. زوجها.

وتحركت بها السيارة وسط عاصفة من عبارات الأسى والوداع، ولم تشترك "**إنجلثروب**" وزوجها في هذا المشهد..

وما إن ابتعدت السيارة حتى انفلتت "**ماري كافنديش**" من بين المودعين، وهرولت لاستقبال رجل طويل القامة ذي لحية قصيرة كان في طريقه إلى البيت.. وقد لاحظت أن وجهها تضرج احمراراً وهي تبسط يدها إليه. وشعرت بكراهية غريزية للرجل وسألت:

– من هذا؟

فأجاب:

– الدكتور "**باور شتاين**"!

– ومن الدكتور "**باور شتاين**"؟

– إخصائي من "**لندن**"، يقال إنه من أعظم الخبراء في السموم.. وهو يقيم في القرية للنقاهة من انهيار عصبي.

فقالت "**سنثيا**":

– إنه من أعز أصدقاء "**ماري**".

فقطب "**چون**" حاجبيه، وقال ليغير موضوع الحديث:

– دعنا نتريض قليلاً يا "**هاستنجز**".. لشد ما أنا آسف لما حدث.. لقد كانت "**إيفيلين**" صديقة مخلصة على الرغم من خشونتها وألفاظها الجارحة.

وسرنا في الطريق إلى القرية وسط الغابة التي تقع على حدود ممتلكات "**أميلي إنجلثروب**".. ثم عدنا أدراجنا.. وما إن اقتربنا من باب القصر حتى

مرت بنا امرأة شابة على جانب كبير من الجمال، فأومأت إلينا وابتسمت. قلت أُحدِّث "**چون**" :

– ما أجملها..!!

– إنها السيدة "**ريكس**"..

– المرأة التي قالت "**إيفيلين هوارد**" إنها..

فقاطعني "**چون**" قائلاً بحدة لا مبرر لها:

– نعم..

وقارنت في ذهني بين السيدة العجوز ذات الشعر الأبيض التي تُقيم في القصر، وهذه الفاتنة اللعوب التي ابتسمت لنا في التو واللحظة، وغمرتني موجة من الحزن والتشاؤم. ولكني سرعان ما تناسيت الموضوع وقلت أحدث "**چون**" :

– حقًّا.. إن "**ستايلز**" مزرعة رائعة!

– نعم، وسوف تكون لي يومًا ما.. بل إنها كان يجب أن تكون لي الآن.. لو أن أبي ترك وصية معقولة..

ثم أردف بعد قليل:

– لو أنه فعل لما وجدت نفسي في الضائقة التي أعانيها الآن..

– هل أنت في ضائقة مالية؟

– لا أكتمك أن هذه هي الحقيقة يا "**هاستنجز**".

– ألا يستطيع أخوك أن يساعدك؟

– "**لورنس**"؟ إنه أضاع كل ما ورثه عن أبيه في طبع أشعاره التي لا يقرؤها أحد.. ولكنني لا أنكر أن أمي تعاملنا بسخاء.. أو على الأصح كانت تعاملنا بسخاء إلى أن تزوجت.

وفي هذه اللحظة، أحسست للمرة الأولى بأن رحيل "**إيفيلين هوارد**" قد أفرغ الجو من شيء لا أستطيع وصفه أو تحديده.. كان وجودها يشيع نوعًا من الاستقرار والأمان.. أما الآن فإن الجو يبدو مشحونًا بالريب والشكوك.. مما جعلني أتوقع شرًّا مستطيرًا.

- 2 -

16 و17 تموز (يوليو)

كنت قد وصلت إلى "**ستايلز**" في اليوم الخامس من شهر تموز (يوليو) وساروي الآن أحداث يومي 16 و17 من ذلك الشهر تمامًا كما أثبتتها التحقيقات الطويلة والاستجوابات المضنية أثناء القضية. كنت قد تسلمت رسالة من "**إيفيلين هوارد**" بعد رحيلها بيومين، قالت فيها إنها تعمل ممرضة في مستشفى بمدينة "**ميدلنجهام**"، التي تبعد ثلاثة وعشرين كيلو مترًا عن "**ستايلز**"، وإنها ترجوني أن أخبرها عما إذا كانت السيدة "**إنجلثروب**" قد أبدت أية رغبة في مصالحتها.

ولم يكن هناك ما يعكر صفو حياتي في تلك الأيام سوى سلوك "**ماري كافنديش**" العجيب، وإيثارها غير المفهوم لصحبة الدكتور "**باور شتاين**".. ولست أعرف ماذا كان يعجبها في هذا الرجل، ولكنها كانت تدعوه إلى البيت باستمرار، وتخرج معه للنزهة في الغابة أو في الحقول..

وكان يوم 16 تموز (يوليو) يوم – اثنين – وكانت السوق الخيرية قد افتتحت يوم السبت، وتقرر إقامة حفل في مساء الاثنين.. يكون امتدادًا للسوق، وتلقي فيه السيدة "**إنجلثروب**" شعرًا عن الحرب.. فقضينا ساعات الصباح في إعداد قاعة البلدية حيث سيقام الحفل، وتناولنا الغداء في وقت متأخر، والتمسنا بعض الراحة في الحديقة، ولاحظت أن "**جون**" لم يكن في حالته العادية؛ فقد كان يبدو قلقًا مضطربًا. وبعد تناول الشاي، قصدت السيدة "**إنجلثروب**" إلى مخدعها لتستريح وتستجمع قواها للسهرة. أما أنا فقد دعوت "**ماري كافنديش**" لمباراة في التنس. وفي الساعة السابعة إلا ربعًا

طلبت السيدة "**إنجلثروب**" الاستعداد لتناول العشاء.. وما إن فرغنا من تناول الطعام حتى وجدنا السيارة في انتظارنا. وقد حقق الحفل نجاحًا عظيمًا.. وقوبلت أشعار السيدة "**إنجلثروب**" بعاصفة من التصفيق، واشتركت "**سنثيا**" في بعض الاستعراضات.. ولم تعد معنا إلى البيت؛ لأن إحدى صديقاتها دعتها للمبيت عندها. وفي الصباح، كانت السيدة "**إنجلثروب**" لا تزال تشعر ببعض التعب، فتناولت طعام الإفطار في فراشها، ولكنها نشطت عند الظهر، ودعتني مع "**لورنس**" إلى مأدبة غداء في بيت السيدة "**رولستون**"، شقيقة السيدة "**تادمنستر**".. وكانت "**ماري**" قد اعتذرت بأنها على موعد مع الدكتور "**باورشتاين**". وبعد المأدبة، اقترح "**لورنس**" أن نعود عن طريق "**تادمنستر**" لكي نزور "**سنثيا**" في صيدليتها. وقالت "**إنجلثروب**" إنها فكرة طيبة، ولكنها لا تستطيع مرافقتنا؛ لأن لديها رسائل يجب أن تكتبها. واقترحت أن تتركنا في "**تادمنستر**" وتمضي في طريقها إلى "**ستايلز**" على أن نعود نحن بـ"**سنثيا**" في إحدى المركبات.. وقد رحبت بنا "**سنثيا**" وقدمتنا إلى زميلتها التي تدعوها باسم "**نيبز**". فقلت لها وأنا أجيل البصر فيما بين صفوف الفتيات والزجاجات في الغرفة الصغيرة:

– هل تعرفين حقًّا ما في كل زجاجة هنا؟ فأجابت متذمرة:

– قل شيئًا جديدًا، إن كل زائر يلقي السؤال نفسه، حتى لقد فكرنا في منح جائزة لأول شخص لا يسألنا: «هل تعرفون حقًّا ما في كل زجاجة هنا؟» أما السؤال الثاني المألوف فهو: «كم عدد الأشخاص الذين سممتموهم؟».

فضحكت.. وقالت "**سنثيا**":

– لو علم الناس كم من الأشخاص يمكن أن يتسمموا نتيجة خطإٍ في مزج العقاقير لما ضحكوا.. ولكن دعونا نتناول الشاي. لدينا هنا خزائن سرية حافلة بالشاي والحلوى.. كلا يا "**لورنس**" هذه خزانة السموم، أما الشاي والحلوى ففي الكبيرة.

وتناولنا الشاي في جو مرح، وشاركنا "سنثيا" في غسل الملاعق والأقداح.. وما كدنا نفرغ من ذلك حتى طرق الباب فقطبت "سنثيا" وزميلتها حواجبهما وهتفت الأولى وهي تصطنع الجد:

– ادخل..

ففُتح الباب ودخلت ممرضة شابة وبيدها زجاجة قدمتها إلى "نيبز"، فأحالتها هذه إلى "سنثيا" التي تناولت الزجاجة وقرأت بطاقتها وقالت:

– هذه الزجاجة كان يجب إرسالها إلينا صباح اليوم..

– إن كبيرة الممرضات تعبر لك عن أسفها؛ لأنها غفلت عن إرسالها.

– يجب على كبيرة الممرضات أن تقرأ التعليمات المعلنة على باب الصيدلية..

فنظرت إلى الفتاة، وأدركت من ملامحها أنها لن تجرؤ على نقل الكلام إلى كبيرة الممرضات... قالت "سنثيا":

– وعلى ذلك فإن هذا الدواء لن يتم إعداده قبل صباح الغد.

– ألا يمكن إعداده الليلة؟

– إننا مثقلون بالعمل، ولكننا سنحاول إذا وجدنا متسعًا من الوقت..

وانصرفت الممرضة الشابة، ومدَّت "سنثيا" يدها إلى وعاء زجاجي فوق أحد الرفوف، وسكبت بعض محتوياته في الزجاجة، ثم وضعت الزجاجة على مائدة خارج الغرفة فأدركت غرضها من هذه المناورة وقلت ضاحكًا:

– النظام أولاً.. أليس كذلك؟

– بالتأكيد. والآن، تعالوا إلى الشرفة، فمنها تستطيعون رؤية عنابر المرضى..

وخرجت مع زميلتها إلى الشرفة فتبعتهما.. وراحتا تدلانني على مختلف أجنحة المستشفى، وكان "لورنس" قد تخلف في الصيدلية، فدعته "سنثيا" للانضمام إلينا، وبعد قليل نظرت إلى ساعتها، وسألت زميلتها:

– هل هناك ما يجب عمله يا "**نيبز**" ؟

– كلا . .

– إذن يحسن بنا أن نغلق الصيدلية وننصرف . .

*****

وقد أتاحت إليَّ تلك الرحلة فرصة لمعرفة "**لورنس**" على حقيقته . . كان على طرفي نقيض من أخيه "**چون**" من جميع الوجوه . . فهو خجول ومنطو على نفسه . . ولكنه ذو شخصية مرحة جذابة، ولا يسع من يعرفه جيدًا إلا أن يحبه . وكنت قد لاحظت أنه يعامل "**سنثيا**" بتحفظ، وأن سلوك الفتاة أمامه يتسم بالخجل والحياء . . ولكنهما في ذلك اليوم كانا شديدي البهجة والمرح خلافًا للعادة . . وكانا يتحدثان ويضحكان كالأطفال . .

*****

وتذكرت ونحن نخترق القرية أنني بحاجة إلى بعض طوابع البريد ، فأوقفت المركبة أمام مكتب البريد واشتريت حاجتي من الطوابع . وبينما كنت أغادر المكتب اصطدم بي رجل قصير القامة كان يهم بالدخول فاعتذرت له، وأفسحت له الطريق، وفجأة أرسل الرجل صيحة سرور وأحاطني بساعديه . . وقبلني بحرارة وهو يهتف :

– صديقي "**هاستنجز**" !! من كان يصدق أنني سألقاك هنا . .

– "**بوارو**" !!

وتحولت إلى المركبة وقلت أحدِّث "**سنثيا**" :

– كم أنا سعيد بهذه المفاجاة يا "**سنثيا**" ! هذا صديقي العزيز السيد "**بوارو**" الذي لم أره منذ عدة أعوام .

فقالت "**سنثيا**" في مرح :

- إننا نعرف السيد "**بوارو**".. ولكن لم يخطر لي ببال أنه صديقك..

فقال "**بوارو**" بلهجة جدِّية:

- نعم، إنني أعرف الآنسة "**سنثيا**".. والفضل في إقامتي هنا للسيدة "**إنجلثروب**" وكرمها.

ورأى في عيني نظرة تساؤل فاستطرد قائلاً:

- نعم يا صديقي.. إنها استضافتني مع سبعة من المواطنين المهاجرين من "**بلچيكا**". وسوف نذكر صنيعها بالشكر والعرفان مدى الحياة..

كان "**بوارو**" رجلاً قصير القامة عجيب المنظر.. فطوله لا يتجاوز خمس أقدام، ولكنه يسير مشدود القامة مرفوع الرأس بطريقة متميزة تكسبه أهمية وهيبة.. وكان له رأس في شكل البيضة، وشاربان متصلبان كشوارب العسكر، أما عنايته بأناقته ونظافة ثيابه فليس لها حد.. حتى لقد كان يخيل إليَّ أن ذرة من التراب على ثوبه يمكن أن تؤلمه أكثر مما يؤلمه جرح من رصاصة.. ومع ذلك فإن هذا الرجل القصير الأنيق، كان في وقت ما أشهر شخصية في البوليس البلچيكي. وأشار "**بوارو**" إلى البيت الصغير الذي يقيم فيه مع زملائه البلچيكيين، فوعدته بأن أزوره في أقرب فرصة.. وبعد أن رفع قبعته وأحنى قامته باحترام تحية لـ"**سنثيا**"، انطلقت بنا المركبة في الطريق إلى "**ستايلز**"..

وقالت "**سنثيا**":

- إنه رجل ظريف.. ولم أتصور قط أنك تعرفه..

- إنه رجل بوليس سري ذائع الصيت..

وأخذت أروي لها بعض مغامراته وانتصاراته في عالم الجريمة.. وكنا جميعًا في حالة نفسية طيبة حتى وصلنا إلى القصر.. وما إن اجتزنا البهو حتى خرجت السيدة "**إنجلثروب**" من مخدعها وهي محتقنة الوجه بادية الانفعال.. فسألتها "**سنثيا**":

– هل ثمة ما يضايقك أيتها العمة "**أميلي**"؟

فأجابتها السيدة "**إنجلثروب**" بحدة:

– كلا. بالتأكيد.. ماذا يمكن أن يضايقني؟

ولمحت وصيفتها "**دوركاس**" وهي تدخل قاعة الطعام، فطلبت إليها أن تأتيها ببعض طوابع البريد..

فأجابت الوصيفة:

– حسن يا سيدتي..

ثم أضافت بعد تردد قصير:

– ألا تريْن يا سيدتي أن من الأفضل أن تأوي إلى فراشك؟ إنك تبدين متعبة جدًا..

– لعلك على حق يا "**دوركاس**".. ولكن ثمة رسائل يجب أن أكتبها قبل موعد تصدير البريد.. هل أشعلت النار في مدفأة غرفتي كما أمرتك؟

– نعم يا سيدتي..

– إذن، سأذهب إلى فراشي بعد العشاء توًا..

وعادت إلى مخدعها.. وشيعتها "**سنثيا**" ببصرها.. ثم قالت تحدث "**لورنس**":

– يا إلهي!! ترى ماذا حدث؟

ويبدو أنه لم يسمعها؛ لأنه دار على عقبيه دون أن ينطق بكلمة، وغادر البيت.. واقترحت على "**سنثيا**" أن نلعب مباراة تنس سريعة قبل العشاء، فلما وافقت صعدت السلم مسرعًا لأحضر مضربي..

والتقيت بـ"**ماري كافنديش**" وهي تهبط درج السلم.. وخيّل إليّ أنها هي أيضا تبدو مضطربة ومنزعجة. سألتها وأنا أتظاهر بقلة اكتراث:

– هل طابت لك النزهة مع الدكتور **باور شتاين**"؟

فقالت بإيجاز:

– أنا لم أخرج.. أين السيدة "**إنجلثروب**"؟

– في مخدعها..

فاطبقت باصابعها على حاجز السلم.. ورفعت رأسها بحركة فجائية كمن يستجمع قوته وعزيمته لمواجهة مهمة. ثم هبطت درج السلم بسرعة، وسارت في البهو ودخلت مخدع السيدة "**إنجلثروب**" واغلقت بابه وراءها.. وأحضرت مضربي، ومررت بنافذة المخدع وأنا في طريقي إلى حلبة التنس، وكانت النافذة مفتوحة، فتمكنت من سماع طرف من الحوار الذي دار بين "**ماري كافنديش**" والسيدة "**إنجلثروب**"..

كانت "**ماري**" تقول بصوت امرأة يائسة تحاول السيطرة على غضبها:

– ألا تدعينني أراه؟

وأجابتها السيدة "**إنجلثروب**":

– إنه لا علاقة له بالموضوع الذي عنه تتحدثين يا عزيزتي "**ماري**"..

فقالت "**ماري كافنديش**" بمرارة:

– بالتأكيد، كان يجب أن أعرف أنك تتسترين عليه..

وفي هذه اللحظة، رأيت "**سنثيا**" وهي في طريقها إليَّ، فتقدمت للقائها.. قالت لي بحدة:

– لقد حدث شجار مخيف أدلت إليَّ "**دوركاس**" بكل تفاصيله.

– أي شجار؟

– شجار بين العمة "**أميلي**" وبينه.. أرجو من كل قلبي أن تكون قد عرفته على حقيقته أخيراً.

– هل شاهدت "**دوركاس**" الشجار؟

– كلا طبعاً، ولكن تصادف أنها مرت أمام باب المخدع وسمعت بعض ما قيل.. كم أتوق إلى معرفة سبب المشاجرة!!

وهنا تذكرت وجه السيدة "**ريكس**" الفاتن.. وتحذيرات "**إيفيلين هوارد**"..

ولكني آثرت أن ألوذ بالصمت.. بينما كانت "**سنثيا**" تكد ذهنها لمعرفة الأسباب المحتملة للشجار وأخيراً قالت:

– ليتها تطرده ولا تتصل به بعد ذلك أبداً...

*****

وكنت في أشد الشوق إلى مقابلة "**چون**"، ولكني لم أقع له على أثر.. كان من الواضح أن شيئًا خطيراً حدث بعد ظهر ذلك اليوم، ولقد حاولت أن أتناسى الكلمات القليلة التي سمعتها من حديث "**ماري كافنديش**" والسيدة "**إنجلثروب**"، ولكنها ظلت تلّح عليّ فلم أستطع تناسيها. وعندما هبطت من غرفتي لأتناول طعام العشاء، وجدت السيد "**إنجلثروب**" في قاعة الاستقبال، ولكن وجهه لم يكن ينمّ عن شيء. وأخيراً جاءت السيدة "**إنجلثروب**" وكانت لا تزال بادية الاضطراب.. فتناولنا الطعام في صمت، واستكان "**ألفريد إنجلثروب**" في مقعده، فلم يضع وسادة خلف ظهر زوجته، ولم يقم بدور الزوج المحب المخلص كما اعتاد أن يفعل.. وبعد الطعام، قالت السيدة "**إنجلثروب**" تحدث "**ماري كافنديش**":

– أرسلي إليّ قهوتي، فلا يزال لدي عمل يستغرق بضع دقائق..

وانتقلت مع "**سنثيا**" إلى قاعة الاستقبال، وجاءت "**ماري**" بأقداح القهوة وقالت:

– هلا حملت إلى السيدة "**إنجلثروب**" قدحها يا "**سنثيا**".. سأصب القهوة في القدح..

فقال "**إنجلثروب**":

– دعي ذلك لي يا "**ماري**".. سأحمل القدح إلى "**أميلي**".

وصب القهوة في القدح، وعبر به الغرفة سائراً في حذر، وتبعه "**لورنس**".. أما "**ماري**" فإنها جلست بجوارنا، وقالت وهي ترسل ببصرها عبر النافذة:

- إن الحر شديد الليلة، والجو ينذر بعاصفة رعدية.

*****

ومن بواعث الأسف أن تلك الجلسة الهادئة لم تستمر طويلاً، فقد سمعت بعد قليل صوتًا أعرفه جيدًا وأمقته من كل قلبي، ينبعث من البهو.. وهتفت "سنثيا" قائلة:

- ها هو ذا الدكتور "**باور شتاين**".. أليس عجيبًا أن يأتي في مثل هذا الوقت؟

فنظرت إلى "**ماري كافنديش**"، ولكنها ظلّت في مكانها ولم يطرأ على وجهها الشاحب أي تغيير.. وبعد لحظة دخل "**ألفريد إنجلثروب**" ومعه الدكتور "**باور شتاين**".. وكان الأخير يضحك ويقول إنه في حالة لا تسمح له بدخول قاعة الاستقبال.. والواقع، أنه كان في حالة محزنة، وكانت ثيابه كلها ملطخة بالأوحال.. وصاحت "**ماري كافنديش**" عندما رأته:

- ماذا دهاك يا دكتور؟

فأجاب:

- يجب أن أعتذر لكم.. والحقيقة أنني لم أكن أريد الدخول ولكن السيد "**إنجلثروب**" أصر..

وأقبل "**چون**" في هذه اللحظة قادمًا من البهو، ورأى "**باور شتاين**".. وصاح:

- إنك في حالة يرثى لها يا "**باور شتاين**".. تناول القهوة وقل لنا ماذا كنت تفعل؟

فضحك "**باور شتاين**" وقال إنه اكتشف فصيلة نادرة من نبات العوسج في مكان يتعذر الوصول إليه، فلما حاول ذلك اختل توازنه وسقط في مستنقع.. وختم حديثه بقوله:

- لقد جففت الشمس ثيابي.. ولكن منظري لا يزال مزريًا..

وفي هذه اللحظة، سمعنا صوت السيدة "**إنجلثروب**"... وهي تدعو "سنثيا"

فأسرعت إليها الفتاة، فقالت لها:

– هلا حملت عني هذه الحقيبة أيتها العزيزة؟ إنني سأذهب إلى فراشي..

وكان باب قاعة الاستقبال مفتوحًا على مصراعيه، فنهضت واقفًا عندما نهضت "**سنثيا**"، ووقفت على مقربة من "**چون**". وهكذا كان هناك ثلاثة شهود يستطيعون أن يقسموا أنهم أبصروا السيدة "**إنجلثروب**" وبيدها قدح القهوة الذي لم تكن قد تذوقته بعد... وكان قدوم "**باور شتاين**" قد عكر عليَّ صفوي، وخيل إليَّ أنه لن ينصرف أبدًا، ولكنه نهض أخيرًا فتنفست الصعداء.

وقال "**إنجلثروب**" يحدثه:

– سأرافقك إلى القرية يا دكتور؛ إذ يجب أن أقابل وكيل أعمالنا لتصفية بعض الحسابات..

ثم التفت إلى "**چون**" وقال:

– لا ضرورة لأن يسهر أحد في انتظار عودتي.. فسآخذ مفتاح الباب الخارجي.

- 3 -

ليلة المأساة

كان الوقت حوالي منتصف الليل حين أيقظني "**لورنس كافنديش**" من النوم.. كان ممسكًا بشمعة في يده، فأدركت من الانزعاج الذي يبدو على وجهه أن في الأمر شيئًا خطيرًا، فاعتدلت جالسًا في فراشي.. وسألته وأنا أحاول جمع شتات أفكاري:

– ماذا حدث؟!

– يخيل إليّ أن أمي مريضة جدًّا.. وأنها مصابة بنوبة.. ومن سوء الحظ أن بابها مغلق من الداخل.

– سأذهب معك فوراً..

ووثبت من فراشي، وألقيت غلالة على كتفي.. وتبعته في الدهليز المؤدي إلى الجناح الأيمن، وانضم إلينا "**چون**".. وقابلنا في طريقنا خادمًا أو اثنين تبدو عليهما دلائل الحيرة والجزع.. والتفت "**لورنس**" إلى أخيه وسأله:

– ما أفضل شيء يمكننا عمله؟

فلم يجبه "**چون**" وراح يعالج مقبض باب السيدة "**إنجلثروب**" بقوة وعنف، ولكن بدون جدوى.. كان من الواضح أن الباب أغلق بالمفتاح والمزلاج من الداخل..

وفي هذه الأثناء كان أهل القصر جميعًا قد استيقظوا من النوم.. على أن أشد الأصوات إزعاجًا كان الأنين والصراخ المنبعثان من داخل الغرفة.. وكان من الضروري عمل شيء فصاحت "**دوركاس**":

– حاول أن تدخل من غرفة السيد "**إنجلثروب**" يا سيدي، مسكينة سيدتي!!

ولاحظت فجأة أن "**ألفريد إنجلثروب**" ليس موجوداً بيننا، وأنه الوحيد الذي لم يظهر. ففتح "**چون**" باب غرفته، وكان الظلام حالكًا في داخلها.. ولكن "**لورنس**" جاء بعقبه والشمعة في يده، واستطعنا أن نرى في نور الشمعة الباهت أن فراش "**إنجلثروب**" لم يمس.. وأنه ليس هناك ما يدل على أنه كان موجوداً بغرفته.. واجتزنا الغرفة إلى الباب المؤدي إلى غرفة السيدة "**إنجلثروب**".. ولكننا وجدناه أيضًا مغلقًا من الداخل.. فما العمل؟ قال "**چون**":

– أظن أننا يجب أن نحطم هذا الباب.. إنها مهمة صعبة، ولكن لابد منها.. ولتذهب إحدى الوصيفات لتوقظ "**بايلي**" وتقول له أن ينطلق بالسيارة في طلب الدكتور "**ويلكنز**".. والآن.. لنحاول تحطيم هذا الباب.. ولكن صبراً لحظة.. إن غرفة "**سنثيا**" تقع في الجانب الآخر من غرفة أمي.. ألا يوجد باب بين الغرفتين؟

فأجابت "**دوركاس**" :

– يوجد باب، ولكنه مغلق بالمزلاج ولم يُفتح قط . .

– سنرى . .

وانطلق يعدو في الدهليز إلى غرفة "**سنثيا**" ، ووجدنا "**ماري كافنديش**" هناك تهز الفتاة بعنف وتحاول أن توقظها. وقفل "**چون**" راجعًا وهو يقول:

– لا فائدة . . إنه مغلق كذلك . . والرأي عندي أن نحطم هذا الباب، فإنه يبدو أقل صلابة من الباب المؤدي إلى الدهليز . .

وألقينا بثقلنا على الباب، ولكنه قاوم جهودنا . . وبعد محاولتين أو ثلاث فُتح بصوت مزعج . . فاندفعنا إلى الداخل، وكان "**لورنس**" لا يزال ممسكًا بالشمعة. فرأينا على ضوئها السيدة "**إنجلثروب**" ممددة في فراشها . . ونوبات الألم تهزّ جسدها هزًّا عنيفًا . . ويبدو أنها قلبت المائدة القائمة بجوار فراشها في إحدى هذه النوبات . . بيد أن أعضاءها المتشنجة ما لبثت أن تراخت . . واستقر رأسها على الوسادة . . وعندئذ أسرع "**چون**" فأضاء المصباح، وأمر إحدى الخادمات بإحضار أحد المشروبات من قاعة الطعام . . ثم اقترب من فراش أمه . . بينما كنت بدوري أفتح مزلاج الباب المؤدي إلى الدهليز . . ولما فرغت من ذلك نظرت حولي باحثًا عن "**لورنس**" لكي أقول له إنه لم تبق ضرورة لوجودي . . وإنهم الآن في غير حاجة إليَّ . . ولكن الكلمات تجمدت على شفتي . . فقد رأيت على وجهه آية من آيات الهلع لم أر قط مثيلاً لها على وجه إنسان. كان شحوبه مخيفًا . . وكانت يده تهتز بالشمعة فيتناثر ذوبها على السجادة، وقد جمدت عيناه في محجريهما من فرط الفزع . . وتعلقتا بمكان في الجدار . . فنظرت بالغريزة إلى حيث كان ينظر . . ولكني لم أر شيئًا غير عادي . . لم أر سوى المدفأة وعليها آنية زهور وبعض التحف العادية التي لا يمكن أن تثير في نفسه كل هذا الهلع. ويبدو أن آلام السيدة "**إنجلثروب**" فقدت الكثير من حدتها؛ لأن العجوز المسكينة استطاعت أخيراً أن تقول بأنفاس لاهثة:

– إنني الآن .. أحسن حالاً.. كان غباء مني.. أن أوصد الباب.. من الداخل..

وسقط ظل على الفراش فرفعت رأسي ورأيت "**ماري كافنديش**" واقفة بالباب، وذراعها حول خصر "**سنثيا**" وكأنها تساعدها على الوقوف.. بينما كانت الفتاة تتثاءب بلا انقطاع ويبدو عليها الذهول.. ولاحظت أن "**ماري كافنديش**" ترتدي الثياب التي اعتادت أن تعمل بها في الحظيرة.. فأدركت أنني لابد أن أكون قد أخطأت في تقدير الوقت، والواقع أن بصيصاً من ضوء النهار كان ينبعث من بين شقي الستار.. وكانت الساعة فوق المدفأة تشير إلى الخامسة. وفجأة، انبعثت من الفراش صرخة مختنقة. كانت العجوز التعسة تعاني نوبة ألم جديدة. وكان مرأى تشنجاتها يبعث على الانزعاج والهلع، فقد تقوس جسدها من فرط الألم حتى باتت تستند في فراشها على رأسها وقدميها، وعبثًا حاولت "**ماري**" و"**چون**" أن يجرعاها بعض المشروبات. وفي هذه اللحظة، شق الدكتور "**باور شتاين**" طريقه إلى وسط الغرفة.. وما إن وقع بصره على السيدة "**إنجلثروب**" في فراشها حتى جمد في مكانه. وفي اللحظة نفسها، صاحت السيدة "**إنجلثروب**" بصوت مختنق وهي تحملق إلى الدكتور:

– "**ألفريد**".. "**ألفريد**".

ثم سقط رأسها على الوسادة وسكنت حركتها. حينئذ أسرع الدكتور إلى الفراش وأمسك بذراعي السيدة "**إنجلثروب**"، وراح يحركهما بقوة على النحو المألوف في التنفس الصناعي، وأصدر في ذات الوقت بضعة أوامر للخدم، وأشار إلينا بيده.. فانسحبنا جميعًا نحو الباب، ووقفنا نرقبه بأنفاس محتبسة.. على الرغم من أننا نشعر في قرارة أنفسنا بأن الأوان قد فات وأنه لم يعد في الإمكان عمل شيء، بل إنني أدركت من قسمات وجهه أنه هو نفسه لا يتوقع أية فائدة. وأخيراً كف عن محاولاته وهز رأسه في حزن. وفي هذه اللحظة سمعنا وقع أقدام تقترب بسرعة. كان القادم هو الدكتور "**ويلكنز**".. طبيب السيدة "**إنجلثروب**"

الخاص. وفي كلمات قليلة، أوضح "**باور شتاين**" كيف أنه كان مارا بالقصر حين رأى السيارة تغادره لاستدعاء الدكتور "**ويلكنز**". فدخل مسرعًا للاطمئنان على السيدة "**إنجلثروب**".. ثم أومأ بيده نحو الفراش وصمت، فهمس الدكتور "**ويلكنز**" قائلاً:

– مسكينة هذه السيدة.. لطالما حذرتها من إجهاد نفسها، ولكنها لم تعبأ بتحذيري.. كان قلبها أضعف من أن يحتمل نشاطها المفرط.

*****

ولاحظت أن "**باور شتاين**" يرقب الطبيب بإمعان ولا يحوّل عينيه عن وجهه، وأخيرًا قال:

– كانت التشنجات غاية في العنف، ويؤسفني أنك لم تشهدها بنفسك.

– أحقًّا؟

– بودي أن أتحدث إليك على انفراد.

ثم التفت إليَّ واستطرد قائلاً:

– هل لديك مانع؟

– كلا طبعًا.

فخرجنا جميعًا إلى الدهليز، وتركنا الطبيبين وحدهما، وسمعنا فور خروجنا صوت المفتاح في قفل الباب. وهبطنا درج السلم.. وأنا نهب للشك والقلق؛ فقد كان لي من المقدرة على الاستنتاج والاستدلال ما جعلني أفسر سلوك الدكتور "**باور شتاين**" تفسيرًا أزعجني وأثار مخاوفي. قالت "**ماري**" وهي تمسك بساعدي:

– ماذا هنالك؟ لماذا يتصرف الدكتور "**باور شتاين**" على هذا النحو الشاذ؟

– هل تريدين رأيي؟

– نعم...

– حسن..

ونظرت حولي لأتحقق من أن أحداً لا يسمعني، ثم قلت لها في همس:

– أعتقد أنها ماتت مسمومة.. وأن الدكتور "**باور شتاين**" يظن ذلك أيضاً.

فصاحت وهي تلتصق بالجدار، وفي عينيها نظرة ذعر:

– ماذا؟ مستحيل! مستحيل!

وتركتني فجأة.. وصعدت السلم مسرعة.. فتبعتها؛ خشية أن تفقد وعيها، ولكنها استندت إلى حاجز السلم.. وصاحت وقد شحب وجهها:

– دعني.. أريد أن أخلو إلى نفسي.. دعني وحدي دقيقة أو دقيقتين.. اذهب أنت مع الآخرين.

فأطعتها على كره مني، وكان "**چون**"، و"**لورنس**" قد ذهبا إلى قاعة الطعام، فلحقت بهما.. وجلسنا هناك صامتين.. إلى أن ألقيت السؤال الذي أعتقد أنه كان يتحير على شفاه زميلي أيضاً:

– أين السيد "**إنجلثروب**"؟

فهز "**چون**" رأسه وأجاب:

– إنه ليس بالبيت.

والتقت عيوننا... أين كان "**ألفريد إنجلثروب**"؟ لم يكن هناك ما يفسر غيابه.. وتذكرت كلمات السيدة "**إنجلثروب**" الأخيرة قبل أن تلفظ أنفاسها. ترى ماذا كانت تعني..؟ وماذا كانت ستقول لو أمهلها الموت قليلاً؟ وأخيراً سمعنا وقع أقدام الطبيبين وهما يهبطان السلم. كانت تبدو على "**ويلكنز**" دلائل الانفعال الشديد على الرغم من تظاهره بالهدوء.. أما "**باور شتاين**" فكان جاداً صارم الوجه. وقال "**ويلكنز**" يحدث "**چون**":

– أود أن توافق على تشريح الجثة يا سيد "**كافنديش**".

فأجاب "**چون**" وقد عبرت بوجهه سحابة ألم:

– وهل ذلك ضروري؟

فأجاب "**باور شتاين**" :

- ضروري جداً.

- هل تعني أن...؟

- أعني أنه لا الدكتور "**ويلكنز**" ولا أنا نستطيع إصدار شهادة وفاة في مثل هذه الظروف.

فقال "**چون**" وهو يطرق برأسه:

- في هذه الحالة لا سبيل إلا أن أوافق.

فقال "**ويلكنز**" بسرعة:

- شكراً لك.. نحن نقترح إجراء التشريح غداً مساء.. وأظن أنه لا مفر في هذه الحالة من أن يحدث تحقيق.. ولكن هذه إجراءات مألوفة ولا ينبغي أن تنزعجوا.

وساد صمت قصير، ثم أخرج "**باور شتاين**" من جيبه مفتاحين قدمهما إلى "**چون**" قائلاً:

- هذان مفتاحا غرفتي السيدة "**إنجلثروب**" وزوجها، لقد أغلقتهما وأرى أنه من الأفضل في الوقت الحاضر أن تظلا مغلقتين.

وانصرف الطبيبان.. وعندئذ وجدت أن الوقت ملائم للإدلاء بالفكرة التي خطرت لي منذ دقائق، وقلبتها في ذهني على كل وجوهها.. ولكني ترددت، فقد كنت أعرف عن "**چون**" أنه إنسان متفائل.. يفزع من مقابلة المتاعب في منتصف الطريق.. ولذلك سيكون من العسير إقناعه بفكرتي. أما "**لورنس**" فكان - على عكسه تماماً - رجلاً واسع الأفق متفتح الذهن.. يمكنني الاعتماد على تأييده.

وحزمت رأيي وقلت:

- أريد أن أسألك شيئاً يا "**لورنس**".

- ما هو؟

- هل تذكر صديقي "**بوارو**"؟ ذلك البلچيكي الذي قابلته أمام مكتب البريد؟

لقد كان في وقت ما أشهر رجل بوليس سري في **"أوربا"** .

– نعم.

– أريد أن تسمح لي بأن أدعوه لتحقيق هذا الموضوع.

– ماذا؟ الآن؟ قبل التشريح؟!

– نعم، فإن من المفيد أن نكسب بعض الوقت إذا كانت الوفاة.. جنائية.

فصاح **"لورنس"** في غضب:

– هراء!! هذه ضجة جوفاء أثارها **"باور شتاين"**، لقد كان **"ويلكنز"** خالي الذهن إلى أن أوحى إليه **"باور شتاين"** بالفكرة. و**"باور شتاين"** معتوه كجميع الإخصائيين.. إن السموم هوايته.. ومن الطبيعي أن يتوهم وجودها في كل مكان.

وأعترف بأن سلوك **"لورنس"** أدهشني.. فإني لم أره قط غاضبًا، أو متحمسًا كما كان في تلك اللحظة. أما **"چون"**.. فإنه تردد قليلا ثم قال:

– إنني لا أوافقك يا **"لورنس"**.. ومن رأيي أن نطلق يد **"هاستنجز"** وندع له حرية التصرف. وإن كنت أفضل الانتظار قليلاً.. فإننا لا نريد فضيحة لا مبرر لها.

فصحت قائلاً:

– كلا، لن تكون هناك فضيحة.. إن **"بوارو"** هو الكتمان مجسداً.

– حسن، إذن... سأترك لك الأمر فافعل ما يتراءى لك.

فنظرت في ساعتي... كانت الساعة السادسة .. فقررت أن أعمل فوراً.. بيد أنني سمحت لنفسي بخمس دقائق قضيتها في البحث في المكتبة، عثرت على كتاب طبي يتضمن وصفًا دقيقًا لأعراض التسمم "الأستركنيني" .

- 4 -

"بوارو" يعمل

كان البيت الذي يقيم فيه البلچيكيون في القرية يقع على مقربة من الحديقة العامة، ويمكن الوصول إليه بسرعة عن طريق الممر الضيق الذي يخترق الحقول، فسرت في هذا الممر.. وما كدت أقترب من البيت حتى رأيت رجلاً يعدو نحوي. كان الرجل هو "**إنجلثروب**"... فأين كان؟ وكيف سيفسر غيابه؟ صاح عندما اقترب مني:

– يا للكارثة!! زوجتي المسكينة!! لقد سمعت النبأ في التو واللحظة.

– أين كنت؟

– كنت أراجع الحساب مع "**دنبي**"، وفرغت من ذلك في الساعة الواحدة صباحًا، ثم اكتشفت أنني نسيت مفتاح الباب الخارجي، ولم أشأ أن أزعج أحدًا، فقضيت الليلة في بيت "**دنبي**".

– وكيف عرفت النبأ؟

– لقد مرّ "**ويلكنز**" بـ"**دنبي**".. وطلب إليه أن ينبئني... مسكينة "**أميلي**"!! كان إنكار الذات من أبرز صفاتها... وكانت تكلف نفسها فوق ما تطيق في حقل الخدمة العامة.

كان صوته ولهجته يقطران زيفًا ونفاقًا. فأحسست نحوه بنفور شديد. قلت له:

– يجب أن تسرع الآن.

وحمدت الله على أنه لم يسألني إلى أين أقصد. وبعد بضع دقائق.. كنت أطرق باب "**بوارو**".. ولما لم أسمع جوابًا أعدت الطرق ففتحت إحدى النوافذ بحذر، وأطلّ منها "**بوارو**" ودهش حين رآني.. فرويت له بإيجاز قصة المأساة

وطلبت معونته، فقال:

- صبراً يا صديقي.. سأفتح لك الباب وستروي لي الحادث بإسهاب ريثما أرتدي ثيابي.

وفتح الباب، وذهب بي إلى غرفته وقدّم إليَّ مقعداً. ورويت له القصة كاملة. ولم أخف عنه شيئاً مهما كان تافهاً. ذكرت له كيف استيقظت، وحدثته عن كلمات السيدة "**إنجلثروب**" الأخيرة، وعن غياب زوجها، والمشاجرة التي حدثت، والكلمات التي سمعتها من الحديث الذي دار بين "**ماري**" والسيدة "**إنجلثروب**".. والخلاف الذي شجر بين هذه الأخيرة و"**إيفيلين هوارد**".. والتلميحات المثيرة التي تضمنتها عبارات "**إيفيلين**". ومن فرط حرصي على الإيضاح.. كنت أعيد كلامي وأكرره، حتى لقد ابتسم "**بوارو**"، وقال:

- إنك مضطرب الذهن... ومنفعل، وهذا طبيعي.. سوف نبحث التفصيلات عندما تهدأ فنرتب الحقائق، ونضع كلاً منها في مكانه الصحيح. ونستبعد منها ما لا أهمية له.

- ولكن كيف تستطيع التمييز بين المهم وغير المهم؟

فهز "**بوارو**" رأسه بشدة، وقال وهو يفتل شاربيه:

- إن كل حقيقة تقودنا إلى حقيقة أخرى، وهكذا ..ثم نضع الحقائق جنباً إلى جنب، فإذا اتصلت واستقامت فهو كذلك، وإلاّ فعلينا أن نبحث عن الحلقة المفقودة. إن بعض التفصيلات قد تبدو تافهة.. ولكن ويل للبوليس السري الذي يهمل الحقائق التافهة الصغيرة. إن كل حقيقة مهما كانت ضئيلة لها أهميتها.

- إنك قلت لي ذلك مراراً ؛ ولذلك حرصت على أن أضع أمامك التفصيلات كاملة بصرف النظر عما أراه مهماً أو غير مهم.

- إن لك ذاكرة قوية، وقد سردت التفصيلات بأمانة، ولكن ليس بالنظام

المرغوب.. ولعل السبب هو أنك مضطرب ذهنيًّا. ولهذا السبب أيضًا نسيت أن تذكر حقيقة ذات أهمية قصوى.

– ما هي؟

– لم تذكر ما إذا كانت السيدة "**إنجلثروب**" قد أكلت جيداً ليلة أمس.

فنظرت إليه في دهشة وأجبت:

– لا أعلم! ولكنني لا أرى أهمية...

– أنت لا ترى.. ولكن ذلك مهم جداً.

– لماذا؟ إنها على قدر ما أذكر لم تأكل كثيراً؛ لأنها كانت منزعجة، وقد أضعف الانزعاج قابليتها للطعام... وهذا أمر طبيعي.

فقال "**بوارو**" وهو مستغرق في التفكير:

– نعم.. هذا أمر طبيعي.

وفتح أحد الأدراج، وتناول منه حقيبة صغيرة وقال:

– هأنذا على استعداد... سنذهب الآن إلى القصر لبحث الموضوع على الطبيعة.

وفي الطريق إلى القصر، أجال "**بوارو**" البصر فيما بين الحقول وهتف:

– ما أجمل هذه المزارع؟! مساكين أصحابها. إنهم لا يستمتعون بجمالها؛ لأنهم الآن في حزن عميق..

ونظر إليَّ بحدة.. فشعرت بالخجل.. وأدركت أن جو الأسرة يخلو فعلاً من العاطفة، وتساءلت: «هل تشعر الأسرة حقًّا بحزن عميق؟!» لقد كانت العجوز تفتقر إلى موهبة كسب حب من حولها. صحيح أن موتها كان صدمة، ولكنه في الواقع لم يثر حزنًا شديداً.. ويبدو أن "**بوارو**" كان يتابع خواطري؛ لأنه هز رأسه، وقال:

– إنك على حق. إذ ليست هناك صلة دم... كانت العجوز كريمة مع آل "**كافنديش**"، ولكنها لم تكن سوى زوجة أب.

– سيد "بوارو" ... هل لك أن تخبرني لماذا أردت معرفة ما إذا كانت السيدة "إنجلثروب" قد أكلت جيداً ليلة أمس؟ إنني فكرت مليًّا ولم أجد لذلك صلة بالموضوع.

ففكر لحظة ثم أجاب:

– لا مانع من أن أخبرك.. على الرغم من أنني تعودت ألا أدلي بإيضاحات إلا في النهاية. إنني أعتقد أن السيدة "إنجلثروب" ماتت مسمومة بـ"الاستركنين"، وأن السم وضع لها في القهوة.

– إذن؟

– متى تناولتم القهوة؟

– حوالي الساعة الثامنة.

– إذن هي قد تناولت قهوتها فيما بين الثامنة والثامنة والنصف والمعروف أن "الأستركنين" سم سريع... ولكن في حالة السيدة "إنجلثروب" لم يظهر تأثير السم إلا في الخامسة من صباح اليوم التالي.. أي بعد نحو تسع ساعات.. فإذا كانت قد تناولت وجبة كبيرة.. فإن السم قد يتأخر.. ولكن ليس كل هذه المدة. ذلك ليس سوى احتمال يجب أن يوضع في الاعتبار. ولكنك قلت إنها لم تتناول من الطعام إلا قليلاً، ومع ذلك لم يظهر تأثير السم إلا في صباح اليوم التالي.. وهذه ظاهرة عجيبة قد يجد لها التشريح تفسيراً. ولكننا يجب في الوقت الحاضر أن ندخرها في ذاكرتنا.

ولما اقتربنا من البيت، خرج "چون" لاستقبالنا. كانت تبدو على وجهه دلائل التعب والإجهاد. قال:

– إنه لحادث مزعج يا سيد "بوارو"... هل قال لك "هاستنجز" إننا لا نريد أن تثار ضجة حول الموضوع؟

– لقد فهمت ذلك.

– إن المسألة ليست سوى ارتياب. ولا يوجد بعد دليل قاطع.

– سوف نخطو بحذر شديد.

فنظر "**چون**" إليَّ وقال وهو يشعل لفافة تبغ:

– هل تعلم أن "**إنجلثروب**" قد عاد؟

– نعم، إنني التقيت به.

– إن من الصعب معرفة الطريقة التي ينبغي أن نعامله بها.

فاجاب "**بوارو**" بهدوء:

– هذه الصعوبة ستزول قريبًا.

فبدا على "**چون**" كأنه لم يفهم، وقال وهو يقدم لي المفتاحين اللذين أخذهما من "**باور شتاين**":

– دع السيد "**بوارو**" يرى كل ما يريد رؤيته. فسأله "**بوارو**":

– هل الغرفتان مغلقتان؟

– كان من رأي "**باور شتاين**" أنه من الأفضل إغلاقهما.

– هذا يدل على أنه واثق تمامًا.

وانتقلنا إلى مسرح المأساة.. وشرع "**بوارو**" في تفتيش الغرفة بدقة.. كان ينتقل من مكان إلى آخر بخفة عجيبة.. أما أنا فقد وقفت بالباب، حتى لا أطمس أي أثر من الآثار. غير أن "**بوارو**" صاح بي:

– ماذا دهاك يا صديقي؟ لماذا تقف هكذا؟

فأوضحت له أنني لا أريد أن أطمس ما قد يكون هناك من آثار أقدام، فصاح:

– آثار أقدام؟ عن أية آثار تتكلم؟ لقد دخل هذه الغرفة جيش برمته.. كلا يا صديقي.. ادخل وساعدني في أبحاثي.. إنني لست الآن بحاجة إلى هذه الحقيبة.

ووضع حقيبته الصغيرة على مائدة صغيرة بالقرب من النافذة. ولكنه ما كاد يفعل حتى انهارت المائدة، يبدو أنها كانت مفككة، وسقطت الحقيبة على الأرض. فصاح:

– يالها من مائدة؟ إن الإنسان قد يقيم في بيت كبير، ولكنه لا يجد به الراحة التي ينشدها.

قال ذلك ثم واصل البحث، وجذبت نظره حقيبة حمراء صغيرة على منضدة الكتابة، كان مفتاحها في قفلها، فتناول المفتاح وقدمه إليّ لأفحصه، ولكنني وجدته مفتاحًا عاديًا لا يختلف عن أمثاله إلا بوجود قطعة من السلك الرفيع ملفوفة حول مقبضه. وانتقل "بوارو" بعد ذلك إلى فحص إطار الباب الذي حطمناه.. وتأكد من أن المزلاج كان موصداً فعلاً. ثم فحص الباب المقابل المؤدي إلى غرفة "سنثيا" ، وكان موصداً بالمزلاج أيضًا، ففتحه "بوارو" وحركه وتأكد من أنه لا يحدث صوتًا أو صريراً... وفجأة.. شد نظره شيء في المزلاج نفسه، ففحصه بعناية، ثم أخرج من حقيبته ملقطًا انتزع به شيئًا دقيقًا وضعه في ظرف صغير بعناية شديدة. وكانت فوق إحدى الموائد صحفة عليها موقد كحولي وآنية وقدح به بقية شراب، فوضع "بوارو" أصبعه في القدح، ثم تذوقه وقلب شفته بشيء من الاشمئزاز وقال:

– كاكاو... ممزوج بشيء أعتقد أنه نوع من الشراب.

ثم نظر إلى الأشياء المبعثرة حول المائدة الصغيرة هنا وهناك. ثم هتف قائلاً:

– هذا عجيب!!

– يجب أن أعترف بأنني لا أرى ما يدعو إلى التعجب.

– أحقًا؟ انظر إلى زجاجة المصباح.. إنها تحطمت إلى جزءين ومازالا بجوار المصباح.. ثم انظر إلى قدح القهوة.. إنه سحق سحقًا وتحول إلى ذرات صغيرة.

– لابد أن بعضهم قد وطأه بقدمه.

– تمامًا، إن بعضهم قد وطأه بقدمه.

قال ذلك واقترب من المدفأة ببطء.. ووقف هناك يتأمل التحف وينظمها.. وأخيراً تحول إليَّ وقال:

– يا صديقي.. إن بعضهم قد وطأ القدح بقدمه وأحاله إلى مسحوق.. إما لأن

القدح كان يحتوي على سم "الأستركنين" ، وإما – وهذا هو الأخطر – لأنه لم يكن يحتوي على "الأستركنين" .

فتملكتني الحيرة، ولكني كنت أعلم أنه لا فائدة من مطالبته بالإيضاح.

وبعد لحظة، التقط حزمة المفاتيح وراح يعبث بها بأصابعه، ثم اختار من بينها مفتاحًا لامعًا ووضعه في قفل الحقيبة الحمراء وحركه ففتح القفل.

ولكنه بعد تردد قصير عاد فأغلقه ووضع حزمة المفاتيح في جيبه، وهو يقول:

– ليست لي سلطة لفحص ما في هذه الحقيبة من أوراق.. ولكن لابد من فحصها.. وفوراً..

ثم اجتاز الغرفة إلى النافذة اليسرى، وجذبت نظره وهو يفعل ذلك بقعة مستديرة لا يكاد لونها يختلف عن لون السجادة، فجثا على ركبتيه وفحصها باهتمام وألصق أنفه بها، ليتبين رائحتها. وأخيراً صب بعض الكاكاو في أنبوبة اختبار وسدّ الأنبوبة جيداً ثم أخرج دفتر مذكراته وقال وهو يكتب:

– إننا وجدنا في هذه الغرفة ستة أشياء مهمة.. هل أحصيها لك أم تحصيها أنت..؟

– أحصها أنت.

– حسن إذن: الشيء الأول – هو قدح القهوة الذي سحق سحقًا، والثاني – هو حقيبة الأوراق التي وجد مفتاحها.. والثالث – هو هذه البقعة.

– لعلها بقعة قديمة.

– كلا، لأنها لا تزال رطبة، وتنبعث منها رائحة القهوة.. والشيء الرابع – هو قطعة من نسيج أخضر داكن.. إنها ليست سوى خيط أو خيطين.. ولكنها تؤدي الغرض.

– أهي ذلك الشيء الذي وضعته في الظرف الصغير؟

– نعم، وربما يثبت أنها قطعة من أحد ثياب السيدة "**إنجلثروب**" نفسها ولا

أهمية لها. ولكننا سنبحث الأمر، والشيء الخامس – هو هذا.

وأشار بحركة مسرحية إلى بقعة كبيرة من دهن الشمع منتشرة على الأرض بجوار المكتب الصغير، واستطرد قائلاً:

– إنها بقعة جديدة، ولولا ذلك لسارعت إحدى الخادمات إلى إزالتها بقطعة من ورق النشاف ومكواة ساخنة.

– أكبر الظن أنها حدثت أمس، فقد كنا في أشد حالات الجزع والاضطراب.. ومن المحتمل كذلك أن تكون شمعة قد سقطت من يد السيدة "**إنجلثروب**" نفسها.

– كم شمعة كانت معكم لدى دخولكم هذه الغرفة ليلة أمس؟

– شمعة واحدة كان يحملها "**لورنس كافنديش**"، وقد استولى عليه فزع شديد شلّ حركته وهو ينظر إلى شيء حول المدفأة.

فقال **بوارو**".. وهو ينظر إلى المدفأة والجدار الذي خلفها:

– هذا أمر مثير.. ولكن شمعة "**لورنس**" لم تحدث هذه البقعة الكبيرة... فالبقعة من الشمع الأبيض، أما شمعة "**لورنس**" التي لا تزال فوق مائدة الزينة فإنها وردية اللون... أضف إلى ذلك أنه لا توجد شموع في غرفة السيدة "**إنجلثروب**"؛ لأنها تقرأ على ضوء المصباح لا على ضوء الشموع.

– وماذا تفهم من ذلك؟

– يجب أن تستخدم مواهبك يا صديقي.

– والشيء السادس؟ هل هو بقايا الكاكاو؟

– كلا.. كان بوسعي أن أجعلها الشيء السادس.. ولكني لم أفعل... كلا.. إنني سأحتفظ بالشيء السادس لنفسي في الوقت الحاضر.

وأجال البصر فيما حول الغرفة بسرعة ثم قال:

– أظن أنه لم يبق لنا ما نفعله هنا.. اللهم إلا....

ونظر طويلاً إلى رماد المدفأة ثم قال:

– إن النار تشتعل وتدمر.. ولكنها قد تبقي على شيء.. فلنر.

وجثا على ركبتيه، وراح يحرك الرماد بالقضيب الحديدي بحذر شديد، وفجأة صاح:

– عليّ بالكماشة يا "**هاستنجز**".

فناولته الكماشة التي تستخدم عادة في وضع قطع الفحم في المدفأة، وبمهارة فائقة التقط "**بوارو**" قطعة صغيرة من الورق نصف محترقة وهتف:

– ما رأيك في هذه يا صديقي؟

فنظرت إلى قصاصة الورق.. ورأيت فيها خمسة حروف يتألف منها المقطع الأخير من إحدى الكلمات، والمقطع الأول من كلمة أخرى... وكانت الورقة من نوع سميك يختلف عن الورق العادي. وانبلجت في ذهني فكرة فصحت:

– هذه قصاصة من وصية!

– تمامًا.

– ألا يدهشك ذلك؟

– كلا، فقد كنت أتوقعه.

قال ذلك ووضع القصاصة في حقيبته بالعناية نفسها التي يبذلها لكل شيء.

وكان عقلي في دوامة، فذهبت أسائل نفسي: «ما سر هذه الوصية؟ ومن الذي أحرقها؟ هل هو الشخص الذي ترك بقعة الشمع على السجادة؟ لابد أن يكون الأمر كذلك.. ولكن كيف تسنى لأي إنسان دخول الغرفة؟ لقد كانت كل أبوابها موصدة من الداخل». قال "**بوارو**":

– سنذهب الآن يا صديقي.. ولكني أريد أن ألقي بعض الأسئلة على الوصيفة.. اسمها "**دوركاس**".. أليس كذلك؟

ومررنا بغرفة "**ألفريد إنجلثروب**"، وقضى "**بوارو**" بضع دقائق في فحصها، ثم انصرفنا بعد أن أعدنا إغلاقها كما أعدنا إغلاق غرفة السيدة "**إنجلثروب**". ثم ذهبت به إلى مخدع السيدة "**إنجلثروب**" في الطابق الأرضي كما طلب، وتركته

هناك وانطلقت للبحث عن "**دوركاس**". ولكنني عندما عدت بها، لم أجده في المخدع فصحت:

- "**بوارو**".. أين أنت؟

- أنا هنا يا صديقي.

كان قد خرج إلى الشرفة ووقف ينظر إلى الحديقة بإعجاب. هتف:

- حديقة رائعة! وتصميم فذ، انظر إلى هذا الهلال.. وإلى النجوم التي في وسطه! إن جمالها يبهر البصر ويخلب اللب.. ثم إن المسافات بين أعواد النبات منتظمة تمامًا.. هل تم تخطيطها وغرسها حديثًا؟

- نعم، بعد ظهر أمس.. ولكن هلم بنا فقد أُحضرت "**دوركاس**".

- أتبخل عليّ بلحظة أمتع فيها بصري بهذا الجمال؟

- ولكن القضية أهم.

- ومن أدراك أن شجيرات "البيجوينا" الشبيهة "بأذني الفيل" ليست لها الأهمية نفسها؟

وكانت "**دوركاس**" تنتظر في المخدع وقد عقدت ذراعيها فوق صدرها.. كانت خير نموذج للوصيفات القدامى الطيبات. وكانت في البداية تنظر إلى "**بوارو**" بارتياب، ولكنه عرف كيف يطمئنها ويزيل شكوكها، فقدم إليها مقعداً، وقال:

- تفضلي بالجلوس يا آنسة.

- شكرا لك يا سيدي.

- مضى وقت طويل وأنت في خدمة السيدة "**إنجلثروب**"، وكنت خلاله مثال الأمانة والإخلاص.

- كانت كريمة معي إلى أقصى حد يا سيدي.

- إذن، لا مانع لديك من الإجابة عن بعض الأسئلة.. إنني ألقيها بموافقة السيد "**كافنديش**" التامة.

- طبعًا يا سيدي.

– سأبدأ إذن بأن أسألك عن الأحداث التي وقعت بعد ظهر أمس، فهل تشاجرت سيدتك مع أحد؟

– نعم يا سيدي.. ولكني لا أعرف ما إذا كان يجب أن..

وصمتت، وترددت فنظر إليها "بوارو" بحدة وقال:

– أصغي إليّ يا "دوركاس".. يجب أن أعرف كل التفصيلات عن هذه المشاجرة، ولا تظني أن ذلك إهدار لأسرار سيدتك، لقد ماتت سيدتك ويجب أن نعرف كل الحقائق؛ لكي نثأر لها.. لا شيء يستطيع أن يعيد الحياة إلى سيدتك، ولكننا نرجو – إذا كانت هناك جريمة – أن نقدم المجرم إلى العدالة لينال جزاءه.

فقالت "دوركاس" بحماس:

– وذلك ما أرجوه... إنني لا أريد ذكر الأسماء، ولكن يوجد شخص هنا لا يطيقه أحد، وقد كان يومًا أسود، ذلك اليوم الذي وضع فيه قدمه في هذا البيت.

فانتظر "بوارو" قليلاً حتى هدأت ثورتها ثم قال:

– لنتكلم الآن عن المشاجرة.. ماذا تعلمين عنها؟

– حدث بعد ظهر أمس يا سيدي أنني كنت أسير في الردهة...

– في أية ساعة؟

– كانت الساعة الرابعة أو بعد ذلك بقليل، كنت أسير في الردهة فسمعت أصواتًا عالية وغاضبة منبعثة من هذه الغرفة... لم أكن لأريد أن أسترق السمع... ولكن الأصوات طرقت أذني... كان باب الغرفة مغلقًا، ولكن صوت سيدتي كان حادًّا وواضحًا فسمعتها تقول: «إنك كذبت عليّ وخدعتني». ولم أسمع ماذا قال السيد "إنجلثروب"؛ لأن صوته كان خافتًا، ولكن سيدتي أجابت قائلة: «كيف تجسر.. إنني آويتك وكسوتك وأطعمتك، فأنت مدين لي بكل شيء.. ولكنك قابلت صنيعي بتلويث اسمنا وجلب العار لنا» ومرة أخرى لم أسمع ماذا قال. ومضت سيدتي تقول: «لا شيء مما تقوله يمكن أن يغير ما حدث.. إنني أعرف واجبي بوضوح وقد اتخذت قراري

ويجب أن تعلم أنه لا الخوف من التشهير ولا الفضيحة بين الزوج وزوجته يمكن أن يثنيني عن تنفيذ قراري». ثم سمعت وقع أقدامهما وهما يهمان بمغادرة الغرفة، فأسرعت بالابتعاد.

– هل أنت واثقة بأن ما سمعته هو صوت السيد "**إنجلثروب**"؟

– نعم يا سيدي، وإلا فصوت من يكون؟

– وماذا حدث بعد ذلك؟

– عدت إلى الردهة بعد ذلك.. وكان الهدوء شاملاً، وفي الساعة الخامسة دقت السيدة "**إنجلثروب**" الجرس، وطلبت إليَّ أن أحضر لها قدحًا من الشاي، وكانت شاحبة الوجه بادية الانفعال.. وقالت لي: «لقد تلقيت صدمة شديدة يا "**دوركاس**"». فأجبتها: «إنني آسفة لذلك يا سيدتي، ولكنك ستكونين أحسن حالاً وأهدأ نفسًا متى تناولت قدحًا من الشاي». وكان بيدها شيء لا أعلم هل هو رسالة أو ورقة عادية.. وقد ظلّت تحملق إليها وكأنها لا تصدق ما كان مكتوبًا بها، وهمست قائلة وكأنها نسيت وجودي: «هذه الكلمات القلائل تغير كل شيء». ثم قالت تحدثني: «لا تثقي بالرجال يا "**دوركاس**"، إنهم ليسوا أهلاً للثقة» فانصرفت مسرعة وأحضرت لها قدحًا من الشاي، فشكرتني واحتست الشاي وبدت أحسن حالاً وقالت: «إنني لا أعرف ماذا يجب أن أفعل، إن الفضيحة بين الزوج وزوجته أمر مخيف.. ربما من الأفضل أن أكتم الأمر ما استطعت». وفي هذه اللحظة جاءت السيدة "**كافنديش**" فصمتت سيدتي ولم تزد.

– وهل كانت الرسالة لا تزال في يدها؟

– نعم يا سيدي.

– ماذا كان من المتوقع أن تفعل بها بعد ذلك؟

– لا أعلم يا سيدي.. لعلها كانت ستضعها في تلك الحقيبة الحمراء التي تحفظ فيها أوراقها.

– هل تعودت أن تضع الأوراق المهمة في تلك الحقيبة؟

– نعم يا سيدي.. وكانت تأتي بالحقيبة من غرفتها كل صباح، وتعود بها في المساء.

– متى فقدت مفتاح هذه الحقيبة؟

– أمس، في وقت العشاء وطلبت مني أن أهتم بالبحث عنه، وكانت منزعجة لفقده.

– ولكن، هل كان لديها مفتاح إضافي؟

– نعم يا سيدي.

قالت ذلك وهي تنظر إليه في فضول ودهشة... وأعترف بأنني لم أكن أقل منها دهشة، أما "بوارو" فإنه ابتسم وقال:

– لا تعجبي يا "دوركاس".. فإن مهنتي هي البحث عن خفايا الأمور... هل هذا هو المفتاح المفقود؟

وأخرج من جيبه المفتاح الذي وجده في قفل الحقيبة... وحملقت "دوركاس" إلى المفتاح، وخيّل إليّ أن عينيها تكادان تبرزان من محجريهما.

قالت:

– إنه هو يا سيدي... ولكن أين وجدته؟ إنني بحثت عنه في كل مكان.

– إنه لم يكن في مكانه أمس ولكنه كان اليوم، والآن لننتقل إلى موضوع آخر... هل لدى سيدتك ثوب أخضر داكن؟

فبهتت "دوركاس" لهذ السؤال غير المنتظر وأجابت:

– كلا يا سيدي.

– هل أنت واثقة؟

– نعم يا سيدي.

– هل لدى أي شخص آخر في هذا البيت ثوب أخضر؟

فأطرقت الوصيفة برأسها مفكرة ثم أجابت:

– لدى الآنسة "سنثيا" ثوب سهرة أخضر.

– داكن اللون؟

– كلا..

– هل لدى أحد ثوب أخضر داكن؟

– كلا..

فلم يبد على "بوارو" أنه أحس بخيبة الأمل، أو بأي شعور آخر، وقال:

– حسن، لنترك هذا الموضوع وننتقل إلى سواه، هل لديك من الأسباب ما يحملك على الاعتقاد بأن سيدتك تناولت عقاراً منوماً؟

– كلا يا سيدي، أنا واثقة بأنها لم تتناول عقاراً منوماً ليلة أمس.

– ولم هذه الثقة؟

– لأن علبة المسحوق المنوم كانت فارغة، ولأن سيدتي تناولت آخر جرعة منه منذ يومين، ولم ترسل في طلب علبة جديدة.

– هل أنت واثقة؟

– كل الثقة يا سيدي.

– إذن فالأمر واضح.. وبالمناسبة هل طلبت إليك سيدتك التوقيع على أية ورقة ليلة أمس؟

– كلا يا سيدي.

– عندما عاد السيد "هاستنجز" والسيد "لورنس" مساء أمس، وجدا سيدتك منهمكة في كتابة رسائل. فهل لديك أية فكرة عن الأشخاص الذين كتبت إليهم؟

– كلا يا سيدي؛ لأنني خرجت مساء أمس.. ولكن ربما كانت "آني" تعرف... على الرغم من أنها فتاة مهملة، وقد بلغ من إهمالها أنها لم تحمل أقداح القهوة ليلة أمس، وهذا يحدث دائماً عندما لا أكون موجودة لمراقبة العمل.

– أرجوك أن تدعي هذه الأقداح حيث تركت يا "**دوركاس**" فإنني أريد أن أفحصها.

– حسن يا سيدي.

– متى خرجت مساء أمس؟

– حوالي الساعة السادسة يا سيدي.

– شكراً لك يا "**دوركاس**"... هذا كل ما أردت الاستفسار عنه.

ونهض واقفاً ومشى إلى النافذة واستطرد قائلاً:

– إنني معجب بهذه الحديقة.. كم بستانيا يعمل هنا؟

– ثلاثة فقط يا سيدي. كانوا خمسة قبل الحرب، وكانت الحديقة رائعة حقًّا. ولكن لم يبق من هؤلاء الخمسة سوى "**مانئج**" العجوز، و"**وليم**" الشاب.. وامرأة من نساء العصر ترتدي سروالا... إنه لزمن عجيب حقًّا يا سيدي.

– سوف تعود الأيام القديمة الجميلة يا "**دوركاس**"، أو أن هذا على الأقل ما نرجوه.. والآن... هل لك أن ترسلي إليَّ "**آني**"؟

– سأفعل يا سيدي.

وما إن انصرفت "**دوركاس**" حتى سألت "**بوارو**":

– كيف عرفت أن السيدة "**إنجلثروب**" تناولت عقاراً منوماً؟ وما حكاية المفتاح المفقود وبديله؟

– عرفت موضوع العقار المنوم من هذا.

وأخرج من جيبه علبة صغيرة من الورق المقوى، من نوع العلب التي يضع فيها الصيادلة المساحيق والأقراص، فسألته:

– أين وجدت هذه العلبة؟

– في أحد الأدراج بغرفة السيدة "**إنجلثروب**"..

– هل هي الرقم 6 في قائمة الأشياء التي وجدناها؟

– ربما، ولكن ألم يجذب نظرك شيء عجيب فيها؟

فتناولت العلبة وفحصتها وأجبت:

– كلا، إنها علبة عادية تمامًا.

– انظر إلى البطاقة الملصقة عليها.

فقرأت البطاقة بعناية.. كان مكتوبًا عليها: «تؤخذ جرعة قبل النوم عند الضرورة».

أجبته:

– إنني لا أرى فيها شيئًا غير عادي.

– ألم تلاحظ أنها خالية من اسم الصيدلية؟

– آه! هذا عجيب حقًّا!!

– هل سمعت أن صيدلية أرسلت علبًا كهذه لا تحمل اسمها؟

– كلا..

– ومع ذلك فإن تفسير هذه الظاهرة بسيط جدًّا أيها الصديق، ولا ينبغي أن تجهد نفسك في البحث عنه.

وفي هذه اللحظة دخلت "آني".. كانت في مقتبل العمر، وعلى جانب من الجمال. وتحدث إليها "**بوارو**" في الموضوع، دون مقدمات. قال:

– إنني أرسلت في طلبك يا "**آني**".. لأنني ظننت أن بوسعك أن تذكري لي شيئًا عن الرسائل التي كتبتها السيدة "**إنجلثروب**" ليلة أمس.. كم كان عددها؟ ومن الأشخاص الذين أرسلت إليهم؟

ففكرت "**آني**" قليلاً ثم أجابت:

– كانت أربع رسائل: إحداها للآنسة "**إيفيلين هوارد**"، والثانية للسيد "**ويلز**" المحامي.. ولا أذكر لمن كانت الرسالتان الأخريان.. آه! كانت الثالثة لمحلات "**روس**" في "**تادمنستر**".. أما الرابعة فلا أذكر لمن كانت.

– فكري..

– أنا آسفة يا سيدي.

– لا بأس.. سأسألك الآن عن شيء آخر، يوجد في غرفة السيدة "**إنجلثروب**" وعاء صغير به بقية من الكاكاو.. هل كانت تتناول الكاكاو كل ليلة؟

– نعم يا سيدي. إنه يوضع في غرفتها كل مساء، وتقوم هي بتسخينه أثناء الليل، حين ترغب في تناوله.

– هل هو كاكاو فقط؟

– نعم يا سيدي، كاكاو بالحليب (اللبن)، مع ملعقة من السكر.

– ومن الذي يحمله إليها؟

– أنا يا سيدي..

– دائمًا؟

– نعم يا سيدي.

– في أي وقت؟

– عندما أذهب إلى غرفتها لأسدل الستائر.

– هل تأتين به مباشرة من المطبخ؟

– كلا يا سيدي.. إن الموقد في المطبخ لا يتسع لكل الوان الطعام.. ولذلك تقوم الطاهية بعمل الكاكاو في وقت مبكر.. قبل إعداد طعام العشاء.. وجرت العادة أن أحمله وأضعه على مائدة في الدهليز.. ثم أذهب به إليها فيما بعد.

– دهليز الجناح الأيسر.. أليس كذلك؟

– بلى يا سيدي.

– متى حملت الكاكاو إلى الدهليز ليلة أمس؟

– حوالي الساعة السابعة والربع يا سيدي..

– ومتى ذهبت به إلى غرفة السيدة "**إنجلثروب**"؟

– عندما قمت بإسدال الستائر حوالي الساعة الثامنة. وقد أوت السيدة "**إنجلثروب**" إلى فراشها وأنا أفعل ذلك..

– إذن فقد ظل الكاكاو على المائدة في الدهليز خلال الفترة ما بين السابعة

والربع والثامنة؟

– نعم يا سيدي.

ثم استطردت قائلة بسرعة وقد احمر وجهها:

– وإذا كان قد وجد به ملح، فأنا لست المسؤولة يا سيدي.. لأنني لا أضع الملح أبداً على مقربة منه.

– ولماذا تعتقدين أنه كان به ملح؟

– لأنني رأيت الملح على الصحفة يا سيدي.

– رأيت الملح على الصحفة؟

– نعم، كان ملحاً خشناً مما يستخدم في المطبخ، لم أفطن إلى وجوده عندما حملت الكاكاو من المطبخ، ولكني رأيته عندما هممت بالدخول به إلى غرفة سيدتي. وكان ينبغي أن أعود به إلى المطبخ وأن أطلب إلى الطاهية إعداد كمية أخرى من الكاكاو .. ولكنني كنت في عجلة من أمري؛ لأن "**دوركاس**" كانت قد خرجت، ثم لأنني ظننت أن الملح ربما لم يسقط في الكاكاو.. وأنه قد وجد في الصحفة خطأ أو سهواً.. ولذلك أزلته بمئزري وحملت الكاكاو إلى سيدتي..

استطعت بصعوبة أن أسيطر على مشاعري عندما سمعت هذا الكلام. لقد قدمت إلينا "آني"، دون أن تشعر، دليلاً على جانب عظيم من الأهمية.. وكم سيكون ذعرها متى علمت أن الملح الخشن لم يكن سوى مادة "الاستركنين" .. أشد سم قاتل عرفه الإنسان! وعجبت لهدوء "**بوارو**" .. كانت سيطرته على نفسه تبعث علي الدهشة.. وقد انتظرت سؤاله التالي بفروغ صبر.. ولكنه أصابني بخيبة أمل.. سألها:

– عندما دخلت غرفة السيدة "**إنجلثروب**" .. هل كان الباب المؤدي إلى غرفة الآنسة "**سنثيا**" موصداً بالمزلاج؟

– نعم يا سيدي.. إنه موصد بصفة دائمة ولم يفتح قط.

– والباب المؤدي إلى غرفة السيد "**إنجلثروب**".. هل لاحظت أنه موصد بالمزلاج أيضًا؟

فترددت الفتاة لحظة ثم أجابت:

– لا أعلم يا سيدي، كان الباب مغلقًا، ولكني لا أستطيع أن أجزم بأنه كان موصداً بالمزلاج.

– بعد أن غادرت الغرفة.. هل أوصدت السيدة "**إنجلثروب**" الباب وراءك؟

– كلا يا سيدي، ولكن كان من المنتظر أن تفعل ذلك فيما بعد. إنها اعتادت أن تغلق الباب ليلاً.. أعني الباب المؤدي إلى الدهليز.

– عندما نظفت الغرفة أمس.. هل لاحظت وجود بقعة من الشمع على السجادة؟

– بقعة من الشمع؟ كلا يا سيدي.. لم يكن لدى السيدة "**إنجلثروب**" شموع، وكانت تقرأ على ضوء المصباح.

– لو أن بقعة كبيرة من ذوب الشمع كانت على السجادة.. فهل أنت واثقة بأنك كنت سترينها؟

– نعم يا سيدي.. وكنت سأزيلها بقطعة من ورق النشاف ومكواة ساخنة.

وهنا كرر "**بوارو**" السؤال الذي ألقاه على "**دوركاس**":

– هل لدى سيدتك ثوب أخضر؟

– كلا يا سيدي..

– أعني ثوبًا.. أو معطفًا.. أو حرملة.

– كلا يا سيدي.

– أو لدى أي شخص آخر في هذا البيت؟

ففكرت الفتاة طويلاً ثم أجابت:

– كلا يا سيدي..

– هل أنت واثقة؟

– نعم يا سيدي.

– شكرًا جزيلاً.. هذا كل ما أردت معرفته..

وما إن انصرفت الفتاة حتى هتفت قائلاً:

– دعني أهنئك يا "بوارو".. إنه اكتشاف عظيم حقًّا..

– وما هذا الاكتشاف العظيم؟

– إن السم كان في الكاكاو لا في القهوة.. وذلك يفسر لماذا لم يظهر تأثيره إلا في الصباح الباكر؛ لأنها لم تتناول الكاكاو إلا في حوالي منتصف الليل.

– هل تعتقد إذن أن "الأستركنين" كان في الكاكاو؟

– بالتأكيد، وإلاَّ ماذا كانت المادة التي وجدتها "آني" في الصحفة وظنتها ملحًا؟

فأجاب بوارو" في هدوء:

– ربما كانت ملحًا حقيقة.

فهززت كتفي ولم أجد ما أقوله.. إذا كان هذا منطقه فلابد أن تكون الشيخوخة قد أوهنت ذكاءه. وكان "بوارو" يرقبني في هدوء وفي عينيه نظرة خبيثة. قال:

– يخيل إليّ أنك غير راض عني أيها الصديق..

– ليس من حقي أن أملي عليك رأيًا يا عزيزي "بوارو".. إن لك وجهة نظرك، كما أن لي وجهة نظري.

فقال وهو ينهض واقفًا:

– هذا خير ما يمكن أن يقال.. والآن، لقد فرغت من هذه الغرفة.. وبهذه المناسبة.. لمن هذا المكتب الصغير الذي أراه في ركن الغرفة؟

– إنه مكتب السيد "إنجلثروب".

فقال وهو يعالجه:

– آه! إنه مغلق، ولكن ربما يمكن فتحه بأحد مفاتيح السيدة "إنجلثروب"..

وأخرج من جيبه حزمة المفاتيح، وأخذ يجربها الواحد تلو الآخر، إلى أن دار أحدهما في القفل وفتحه. وألقى "بوارو" نظرة سريعة على الأوراق والملفات المرتبة في الدرج ولشد ما كانت دهشتي حين لم يمد إليها يداً واكتفى بقوله:

– من المؤكد أن السيد "**إنجلثروب**" رجل منظم.

ثم أجال الطرف فيما حوله وقال:

– ليس في هذه الغرفة ما يفيدنا.. كل ما وجدناه بها هو هذا. وأخرج من جيبه ظرفًا قديمًا مهشمًا دفع به إليّ ففحصته.. كانت عليه ثلاث أو أربع كلمات كررها كاتبها كما يفعل الإنسان حين يختبر قلماً جديداً.

- 5 -

السم

سألت "بوارو" في فضول:

– أين وجدت هذا الظرف؟

– في سلة المهملات.. هل تعرف الخط؟

– نعم، إنه خط السيدة "**إنجلثروب**".. ولكن ما معنى هذه الكلمات؟

– لا أعلم، هلم بنا الآن لكي نفحص أقداح القهوة.

– وما الفائدة من ذلك بعد أن علمنا أن السم كان في الكاكاو؟

فقال وهو يرفع يديه نحو السماء:

– يا لهذا الكاكاو! تعال يا صديقي ودعني أفحص أقداح القهوة.. إن ذلك لن يقلل من نظريتك عن الكاكاو.

وقصدنا إلى قاعة الاستقبال حيث كانت أقداح القهوة لا تزال في أماكنها كما تركناها.. وطلب إليّ "بوارو" أن أروي له كل ما حدث في تلك الليلة السابقة.

وأصغى إليّ بانتباه شديد.. وتحقق من مكان كل قدح. قال:

– إذن فقد وقفت السيدة "**كافنديش**" بجانب الصحفة التي عليها الأقداح، وصبت القهوة. ثم اقتربت من النافذة حيث كانت تجلس مع الآنسة "**سنثيا**". نعم.. ها هي الأقداح الثلاثة.. وهذا القدح الذي على المدفأة.. لابد أنه قدح "**لورنس كافنديش**".. ولكن قدح من هذا الذي على الصحفة؟

– قدح "**چون كافنديش**".. وقد رأيته حين وضعه هناك.

– حسن.. هذه خمسة أقداح.. أين إذن قدح السيد "**إنجلثروب**"؟

– إنه لم يتناول القهوة.

– صبراً لحظة يا صديقي.

وتناول قطرة من كل قدح وتذوقها، ثم وضعها في أنبوبة اختبار خاصة، وقال أخيراً:

– كانت لدي فكرة بعينها.. ولكن يبدو أنني كنت مخطئا...

وهممت بأن أقول له إن أبحاثه حول القهوة ستنتهي به حتمًا إلى طريق مسدود... ولكني آثرت الصمت. وأقبل "**چون**" في تلك اللحظة؛ ينبئنا بأن طعام الإفطار قد أعد، ودعا "**بوارو**" لتناوله معنا فوافق.. ولاحظت أن "**چون**" قد استرد هدوءه، وعاد إلى طبيعته السمحة المتزنة. كانت أحداث الليلة السابقة قد صدمته وأزعجته.. ولكن بصفة مؤقتة.. عاد بعدها إلى حالته الطبيعية... فقد كان رجلاً ضيق الأفق ضحل الخيال.. على عكس أخيه تمامًا. وقد قضى "**چون**" ساعات الصباح في عمل متصل، فكتب طائفة من البرقيات، بينها برقية إلى "**إيفيلين هوارد**"، وأرسل النعي إلى الصحف، واضطلع بغير ذلك من الواجبات المتصلة بالموقف. قال يحدث "**بوارو**":

– هل لي أن أسأل كيف تسير الأمور؟ هل تشير أبحاثك وتحرياتك إلى أن موت أمي كان طبيعيًّا؟ أم يجب أن نعد أنفسنا لما هو أسوأ؟ فأجاب "**بوارو**":

– أظن يا سيد "**كافنديش**" أنه من الأفضل ألا تخدع نفسك بآمال زائفة..

ولكن هل تستطيع أن تخبرني بوجهة نظر بقية أفراد الأسرة؟

– إن أخي "**لورنس**" يعتقد أننا نثير ضجة لا مبرر لها، ويقول إن جميع الدلائل تشير إلى أن الوفاة كانت نتيجة أزمة قلبية.

– والسيدة "**كافنديش**"؟

– ليست لدي أية فكرة عن وجهة نظر زوجتي في هذا الموضوع.

وساد صمت عميق استمر بضع دقائق إلى أن قال "**چون**":

– هل قلت إن السيد "**إنجلثروب**" قد عاد؟

فأومأ "**بوارو**" برأسه علامة الإيجاب واستطرد "**چون**" قائلاً:

– إننا جميعًا في مركز دقيق، فالواجب يحتم علينا أن نعامله كالعادة.. ولكن أين الإنسان الذي لا يشعر بالغثيان وهو يتناول الطعام مع قاتل؟

– أعلم أنه موقف عصيب بالنسبة إليك يا سيد "**كافنديش**".. ولكنني أود أن ألقي عليك سؤالا.. إن عذر السيد "**إنجلثروب**" في عدم العودة إلى البيت ليلة أمس هو أنه نسي أن يأخذ معه مفتاح الباب، أليس كذلك؟

– بلى.

– هل أنت واثق بأنه نسي المفتاح ولم يأخذه معه؟

– الواقع أنني لم أفكر في ذلك. إننا نضع المفتاح عادة في درج في الردهة.. سأذهب الآن لأرى ما إذا كان لا يزال هناك..

– لا ضرورة لذلك يا سيد "**كافنديش**"، فقد فات الأوان الآن، أنا واثق بأنك ستجده في مكانه. وإذا كان السيد "**إنجلثروب**" قد أخذه.. فقد تهيأ له الوقت الكافي لإعادته.

– ولكن هل تظن أن..؟

– إنني لا أظن شيئًا... لو أن أحدًا قد رأى المفتاح في الدرج قبل عودة السيد "**إنجلثروب**" صباح اليوم... لكان دليلاً في مصلحته.. هذا كل ما في الأمر.

فبدت الحيرة على وجه "چون"، ولم يجب.

*****

ودار أفراد الأسرة حول مائدة الإفطار في جو عابس خال من المرح، ولكن لم تكن هناك آهات أو تأوهات أو وجوه مكتئبة حزينة... وقد وجدت أنني كنت على حق حين ظننت أن "**دوركاس**" سوف تكون هي الشخص الوحيد الذي أحزنته المأساة. ولا أريد أن أتحدث عن "**ألفريد إنجلثروب**"، فقد كان سلوكه كأرمل حزين ينضح بالنفاق إلى حد يثير النفور والاشمئزاز. ترى هل كان يعلم أننا نرتاب فيه؟ وهل يشعر في قرارة نفسه بالخوف؟ أم أنه مطمئن إلى أن جريمته ستمر بغير عقاب؟ ولكن هل الجميع يرتابون فيه؟ هل ترتاب فيه السيدة "**كافنديش**" مثلاً؟ ونظرت إليها وهي جالسة على رأس المائدة.. رشيقة هادئة.. غامضة. لقد لزمت الصمت المطلق.. فلم تفتح شفتيها، ومع ذلك فقد كنت أشعر بشخصيتها القوية تسيطر علينا جميعًا. و"**سنثيا**" الشابة اليافعة.. هل ترتاب أيضًا في "**إنجلثروب**"؟ كانت تبدو متعبة مريضة.. فهي بطيئة الحركة، ثقيلة الجفنين.. سألتها عما إذا كانت تشعر بوعكة، فأجابت في صراحة:

– نعم.. إنني أشعر بصداع مخيف.

فقال "**بوارو**":

– هل لك في قدح آخر من القهوة يا آنسة؟ إنها خير ملطف للصداع.

وتناول قدحها فملأه بالقهوة وهم بأن يضع فيه سكرًا، فقالت له:

– كلا، لا أريد سكرًا...

– لا تريدين سكرًا؟ هل تتجاوزين عن تناول السكر على سبيل الاقتصاد بسبب الحرب؟

– كلا.. إنني لا أتناول القهوة بالسكر مطلقًا.

– أحقًّا؟

وسمعته يهمس بكلمات خافتة كمن يحدث نفسه.. فنظرت إليه، وأدهشني أن أرى عينيه الخضراوين تتألقان كعيني القط. وفتح الباب في هذه اللحظة ودخلت "**دوركاس**"، وقالت وهي تنظر إلى "**چون**":

– السيد "**ويلز**" يطلب مقابلتك يا سيدي.

وتذكرت هذا الاسم... إنه اسم المحامي الذي كتبت إليه السيدة "**إنجلثروب**" رسالة في الليلة السابقة ونهض "**چون**" على الفور وهو يقول:

– اذهبي به إلى مكتبي.

ونظر إلينا وقال:

– إنه محامي أمي..

ثم أردف قائلاً بصوت خافت:

– وهو أيضًا الذي يتولى تحقيق أسباب الوفيات الجنائية.. فهل تريدان مقابلته؟

فوافقنا.. وتبعناه إلى قاعة المكتب وكان يسير بخطى واسعة، فتخلفنا عنه قليلاً وانتهزت الفرصة لكي أسأل "**بوارو**":

– هل سيجري إذن تحقيقًا في أسباب الوفاة؟

فأومأ بوارو" برأسه وهو شارد الذهن. وخيِّل إليّ أنه يفكر في مشكلة عويصة، فسألته:

– ماذا بك؟ إنك غير مصغ إليّ..

– الواقع يا صديقي أنني منزعج جدًّا.

– لماذا..؟

– لأن الآنسة "**سنثيا**" تتناول القهوة بغير سكر.

– ماذا تعني؟ هل أنت جاد؟

– جاد جدًّا... هناك شيء لا أفهمه.. لقد صدقت غريزتي.

– أية غريزة؟

- الغريزة التي دفعتني إلى الإصرار علي فحص أقداح القهوة.. صه.. ولا تزد الآن.

ودخلنا قاعة المكتب وأغلق "**چون**" الباب. كان السيد "**ويلز**" رجلاً لطيفًا جاد العينين في نحو الأربعين من عمره، فقدمنا "**چون**" إليه، وأوضح له سبب وجودنا وقال:

- على أننا مازلنا نرجو ألا يكون هنا؛ ما يستوجب التحقيق.

- طبعًا.. طبعًا.. ولكن من بواعث الأسف أن التحقيق أمر لابد منه في حالة عدم وجود شهادة طبية.

- نعم، أظن ذلك..

- إن الدكتور "**باور شتاين**" رجل بارع، يقال إنه من أعظم الخبراء في السموم.

فقال "**چون**" بامتعاض:

- هذا صحيح.

ثم أضاف بعد تردد قصير:

- هل سنُطلب جميعًا للإدلاء بأقوالنا؟

- لابد من سماع أقوالك أنت.. والسيد "**إنجلثروب**".. وقد نسمع أقوال آخرين كإجراء شكلي.

فتنهد "**چون**" وبدت على وجهه دلائل الارتياح، الأمر الذي أدهشني.. إذ لم يكن هناك ما يبعث على الارتياح. وقال السيد "**ويلز**":

- لقد فكرت في تحديد يوم الجمعة لتحقيق أسباب الوفاة، حتى يجد الطبيب متسعًا من الوقت لتقديم تقريره.. إن التشريح سيتم الليلة فيما أعتقد..

- نعم.

- هل يلائمك يوم الجمعة إذن..؟

- يلائمني تمامًا.

– لا أظنني بحاجة إلى التعبير عن بالغ أسفي وحزني لهذا الحادث المؤلم يا سيد "**كافنديش**".

وهنا تكلم.. **بوارو**".. لأول مرة منذ دخولنا قاعة المكتب، فقال:

– ألا تستطيع أن تقدم لنا أية معونة لإماطة اللثام عن سر هذا الحادث يا سيدي؟

– أنا!

– نعم، فقد علمنا أن السيدة "**إنجلثروب**" بعثت إليك برسالة ليلة أمس.. ولابد أنك استلمتها صباح اليوم.

– إنني تسلمتها فعلاً.. ولكنها خالية من أية معلومات.. كل ما جاء بها أنها تدعوني لمقابلتها صباح اليوم؛ لكي تستطلع رأيي في أمر مهم..

– ألم تشر في رسالتها إلى طبيعة هذا الأمر المهم؟

– كلا، لسوء الحظ.

– هذا أمر يؤسف له.

وساد الصمت واستغرق "**بوارو**" في التفكير لحظة، ثم تحول إلى المحامي وقال:

– يا سيد "**ويلز**"... أريد أن ألقي عليك سوالاً أرجو ألا يتعارض مع واجبات مهنتك... من الذي يرث السيدة "**إنجلثروب**" في حالة وفاتها؟

فتردد المحامي قليلاً ثم أجاب:

– هذا أمر سيعلن قريبًا جدًّا... فإذا سمح السيد "**كافنديش**"..

فقاطعه "**چون**" قائلاً:

– طبعًا.. طبعًا...

– لقد نصت آخر وصية لها بتاريخ آب (أغسطس) من العام الماضي على بعض منح للخدم... وفيما عدا ذلك فقد أوصت بكل ثروتها للسيد "**چون كافنديش**" ابن زوجها.

– أليس في ذلك – مع الاعتذار للسيد "**كافنديش**" – غبن كبير لـ"**لورنس**

كافنديش" . . . الابن الثاني لزوجها؟

– كلا؛ لأن الأب أوصى بأن تئول أملاكه بعد وفاة الزوجة إلى ابنه الأكبر "**چون**" . . . وأن تئول ثروته إلى ابنه الثاني "**لورنس**"؛ ولذلك أوصت السيدة "**إنجلثروب**" بثروتها الخاصة لـ"**چون**"؛ لأنها تعلم أنه ورث القصر والمزرعة ويحتاج إلى المال لصيانتهما والإنفاق عليهما.

– ولكن ما حكم القانون الإنجليزي في وصية الأب بعد أن تزوجت أرملته؟

– هذا ما كنت أهم بإيضاحه يا سيد "**بوارو**" . . . إن وصية الأب أصبحت ملغاة ولا قيمة لها.

– هل كانت السيدة "**إنجلثروب**" نفسها تعرف هذه الحقيقة؟

– لا أعلم، ربما كانت تعرفها.

فقال "**چون**" بلهجة التأكيد:

– بل إنها كانت تعرفها . . . ولقد كنا بالأمس فقط نتحدث عن الوصايا التي يبطلها الزواج.

– سؤال أخير يا سيد "**ويلز**" . . . إنك قلت (وصيتها الأخيرة) . . فهل كتبت السيدة "**إنجلثروب**" وصايا أخرى سابقة؟

– كانت تكتب وصية واحدة على الأقل كل عام، كانت تغير رأيها باستمرار . . فتعطي هذا . . وتحرم ذاك . . وفقا لمزاجها.

– هب أنها كتبت وصية جديدة دون علمك، وأوصت فيها بكل ثروتها لشخص ليس من أفراد الأسرة . . ولنقل مثلاً إنه "**إيفيلين هوارد**" . . . فهل يكون ذلك مفاجأة لك؟

– كلا، بتاتًا . .

– آه!

وبذلك انتهت أسئلة "**بوارو**" . وبينما كان "**چون**" يتحدث إلى المحامي بشأن أوراق السيدة "**إنجلثروب**" الخاصة . اقتربت من "**بوارو**" وسألته بصوت

خافت:

– هل تعتقد أن السيدة "**إنجلثروب**" أوصت بكل ثروتها لـ"**إيفيلين هوارد**"؟

فاجاب وهو يبتسم:

– كلا..

– إذن لماذا سألت؟

– صه.

وكان "**چون**" قد تحول إلى "**بوارو**" في هذه اللحظة ليقول له:

– هل تأتي معنا يا سيد "**بوارو**"؟ إننا سنفحص أوراق أمي، وقد ترك السيد "**إنجلثروب**" هذه المهمة لي وللسيد "**ويلز**"، وسنبدأ الآن بالمكتب الذي في مخدعها، ثم ننتقل بعد ذلك إلى غرفة نومها، فإن هناك حقيبة حمراء صغيرة تحتفظ فيها دائمًا بأوراقها المهمة.

فقال المحامي:

– وربما يسفر البحث عن وجود وصية جديدة.

فقال "**بوارو**" في هدوء:

– توجد وصية جديدة.

فهتف "**چون**" والمحامي في آن واحد:

– ماذا تقول؟!

– أقول إنه توجد أو على الأصح كانت توجد وصية جديدة.

– وأين هي الآن؟

– أحرقت.

– أحرقت!

– نعم.. انظر..

وأخرج قصاصة الورقة التي التقطها من مدفأة السيدة "**إنجلثروب**"، وقدمها إلى المحامي وأوضح له بإيجاز أين وكيف وجدها.

– ولكن ربما كانت وصية قديمة.

– لا أظن ذلك. إنها وصية جديدة أرجح أنها كتبت بعد ظهر أمس.

فهتف الرجلان في وقت واحد:

– مستحيل!!

فتحول "بوارو" إلى "چون" وقال:

– إذا سمحت لي باستدعاء البستاني، فإنني أستطيع أن أثبت لك ذلك..

– طبعًا طبعًا. ولكني لا أرى..

فاسكته "بوارو" بإشارة من يده وقال:

– افعل كما قلت لك.. وألق بعد ذلك ما شئت من الأسئلة.

– حسن..

ودق الجرس فاقبلت "دوركاس" فقال لها:

– دعي "مانينج" يحضر فوراً؛ فإنني أريد التحدث إليه.

وانتظرنا في جو مشحون بالقلق والترقب إلى أن دخل البستاني وهو يقدم رجلاً ويؤخر أخرى. كان رجلاً متقدمًا في السن، تنم نظراته عن اليقظة والذكاء.

قال "چون" يحدثه:

– أصغ إلي يا "مانينج".. سيلقي عليك هذا السيد بعض الأسئلة وأريدك أن تجيب عنها.

فقال البستاني وهو ينظر إلى رجل البوليس السري القصير القامة بشيء من الاستهتار!

– حسن يا سيدي.

وتقدم "بوارو" خطوة إلى الأمام وقال وهو يصعّد البستاني بعينيه:

– إنك غرست بعض شجيرات "البيجونيا" في الجزء الجنوبي من الحديقة بعد ظهر أمس.. أليس كذلك؟

– بلى يا سيدي، وكان "**وليم**" يعمل معي..

– ثم أطلّت السيدة "**إنجلثروب**" من نافذة غرفتها ونادتك أليس كذلك؟

– بلى يا سيدي.

– إذن أخبرني بأسلوبك. ماذا حدث بعد ذلك؟

– لم يحدث شيء ذو أهمية.. إنها طلبت إلى "**وليم**" أن يمتطي دراجته ويذهب إلى القرية لشراء ورقة ذات أوصاف خاصة.. فأحضر الورقة المطلوبة..

– وماذا حدث بعد ذلك؟

– لا شيء. عدنا إلى الحديقة.

– ألم تدْعكما مرة أخرى؟

– بلى دعتنا مرة أخرى، وسمحت لنا بدخول غرفتها، وطلبت إلينا أن نوقع باسمينا في ذيل الورقة الكبيرة التي أحضرها "**وليم**".. وذلك بعد أن وضعت هي إمضاءها عليها..

– ألم تر ما كان مكتوبًا في الورقة فوق إمضائها؟

– كلا يا سيدي، فقد كانت هناك قطعة من الورق النشاف تحجب الكتابة.

– هل وقعت باسمك على الورقة؟

– نعم يا سيدي، أنا أولاً، ثم "**وليم**" بعد ذلك.

– وماذا فعلت السيدة بالورقة؟

– طوتها ودستها في ظرف كبير وضعته في حقيبة حمراء..

– متى حدث ذلك؟

– حوالي الساعة الرابعة..

– هل أنت واثق؟ ألم يكن حوالي الساعة الثالثة والنصف؟

– كلا.. كانت الساعة بعد الرابعة.. لا قبلها.

– شكرًا لك يا "**ماننج**"..

ونظر البستاني إلى سيده، فأمره بالانصراف.. وبعد قليل هتف "**چون**"

قائلاً:

– يا لها من مصادفة!!

– ماذا تعني؟

– أليس من المصادفات العجيبة أن تكتب أمي وصية في يوم وفاتها؟

فسعل "ويلز" وقال بجفاء:

– هل أنت واثق بانها مصادفة يا سيد "كافنديش"؟

– ماذا تعني؟

– ألم تقل لي إن أمك تشاجرت مع شخص ما بعد ظهر امس؟

فصاح "چون" مرة أخرى وقد فر لونه:

– أوضح ماذا تعني؟

– كانت نتيجة هذه المشاجرة أن أسرعت أمك بكتابة وصية جديدة.. ونحن لن نعرف أبداً مضمون هذه الوصية.. لأنها لم تتحدث إلى أحد بشانها، ومن المؤكد أنها كانت تعتزم استطلاع رأيي في أمرها.. ولكن لم تتح لها الفرصة..

لقد اختفت الوصية.. ودفن سرّها مع صاحبتها.. ولا يمكن أن يكون ذلك من قبيل المصادفة يا سيد "كافنديش".. الا ترى مثلي يا سيد "بوارو" أن لهذه الحقائق مغزاها الواضح؟

فقال "چون":

– مهما يكن مغزاها فإننا نشكر للسيد "بوارو" أنه القى ضوءاً على موضوع هذه الوصية الجديدة، ولولاه لما عرفنا شيئًا من أمرها.. هل لي أن أسالك يا سيد "بوارو" عن الأثر أو الآثار التي قادتك إلى هذه الحقيقة؟

فابتسم "بوارو" وأجاب:

– هناك شيئان.. بضع كلمات على ظرف قديم، وشجيرات "بيجونيا" غرست حديثًا.

وهمّ "**چون**" بأن يلقي مزيداً من الأسئلة لولا أن سمعنا في هذه اللحظة صوت سيارة تقترب، فنظرنا عبر النافذة، ورأينا السيارة تقف بالباب، وصاح "**چون**" على الفور:

– "**إيفيلين هوارد**" !! معذرة يا سيد "**ويلز**" .

وخرج مسرعًا، فنظر إليّ **بوارو**" .. مستفسراً فاجبته:

– إنها الآنسة "**إيفيلين هوارد**" .

– آه! يسرني أنها عادت..

– إنها امرأة ذات قلب كبير وعقل راجح.. ولكن الله لم يهبها الجمال.

وحذوت حذو"**چون**" ، وخرجت لاستقبال "**إيفيلين**" ، ولم تكد عيناي تلتقيان بعينيها حتى شعرت بوخز الضمير. لقد سبق لها أن حذرتني، فضربت بتحذيرها عرض الحائط. وسرعان ما أثبتت الأحداث أنها كانت على حق حين عبرت عن ارتيابها في نيات "**إنجلثروب**" .. ومن يدري؟ فلعلها لو بقيت في " **ستايلز**" لما حدثت المأساة، ولما استطاع الرجل أن يتجنب عينيها الساهرتين. ولكنني شعرت بالارتياح حين شدت على يدي بحرارة. ورأيت في عينيها نظرة حزن لا نظرة تأنيب. كان احمرار عينيها يدل على أنها بكت كثيراً... ولكن حزنها لم يلطف من خشونتها وصراحتها المألوفتين. قالت:

– لقد تأهبت للقدوم عندما تسلمت البرقية. وكانت السيارة أسرع للوصول إلى هنا. فسألها "**چون**" :

– هل تناولت طعام الإفطار يا "**إيفيلين**" ؟

– كلا..

– ذلك ما ظننته. إن الطعام على المائدة وسآمرهم بأن يعدّوا لك قدحًا من الشاي.. آه! هاهو ذا السيد "**بوارو**" يا "**إيفيلين**" .. إنه يتعاون معنا.

فشدت "**إيفيلين**" على يد "**بوارو**" .. ولكنها نظرت إلى "**چون**" بارتياب وسألته:

– ماذا تعني بقولك إنه يتعاون معنا؟

– أعني أنه يتعاون معنا في التحقيق.

– ولماذا التحقيق؟ ظننتكم قد وضعتموه في السجن..

– وضعنا من؟

– من..؟! "**ألفريد إنجلثروب**" طبعًا.

– حذار يا عزيزتي "**إيفيلين**".. إن "**لورنس**" يعتقد أن أمي ماتت بأزمة قلبية.

– إنه مغفل! لقد قلت لكم إن "**ألفريد إنجلثروب**" سيقتلها! وقد قتلها!

– لا تصرخي هكذا يا "**إيفيلين**".. يحسن بنا أن نكتم شكوكنا في الوقت الحاضر على الأقل. إن جلسة تحقيق أسباب الوفاة ستعقد يوم الجمعة.

– لابد أنكم جننتم.. سوف يلوذ بالفرار قبل موعد الجلسة.. إنه ليس من الغباء بحيث ينتظر حتى يلتف حبل المشنقة حول عنقه..

– ماذا تريدينني أن أفعل يا "**إيفيلين**"؟ هل أمسك به من عنقه وأقتاده إلى مركز البوليس؟

– افعل أي شيء يميط اللثام عن جريمته.

ولم أتمالك عن الرثاء لـ"**چون**" فقد أدركت من حديث "**إيفيلين**" أن إيواءها مع "**إنجلثروب**" تحت سقف واحد، سوف يكون مهمة عسيرة لا قبل له باحتمالها.. وقد رأيت في قسمات وجهه أنه يشعر بذلك أيضًا.. ولم يجد "**چون**" وسيلة للخلاص إلا الفرار، فغادر المكان مسرعًا. وما إن جلست "**إيفيلين**" إلى مائدة الطعام حتى قال لها "**بوارو**":

– أريد أن أسألك يا آنسة.

– سل ما شئت.

– إنني أود الاعتماد على مساعدتك.

– سوف يسرني أن أساعدك على شنق "**ألفريد**".. إن شنقه لا يكفي.. ويجب

تمزيقه إربًا كما كانوا يفعلون بالمجرمين في القرون الوسطى.

– إذن فنحن نعمل لغاية واحدة.. لأنني أيضًا أريد شنق المجرم.

– "**ألفريد إنجلثروب**"؟

– هو أو سواه..

– لا يوجد سواه. لولا قدومه إلى هذا البيت لما قتلت "**أميلي**" المسكينة.. لست أعني أنها لم تكن محاطة بالحيتان، ولكن الآخرين كانوا ينشدون مالها فحسب، وكانت حياتها في أمان، ثم جاء "**إنجلثروب**"، ولم يمض شهران إلا وقتلت..

– صدقيني يا آنسة "**هوارد**".. إذا كان "**إنجلثروب**" هو القاتل فلن يفلت من يدي.. من يدري؟ ولكني أرجوك أن تثقي بي.. إن معونتك تهمني كثيرًا وسأقول لك السبب. السبب هو أن عينيك هما العينان الوحيدتان في هذا البيت الحزينتان اللتان ذرفتا الدموع حزنًا على الفقيدة.

فتنهدت الآنسة "**هوارد**" وقالت بصوت أقل خشونة:

– ذلك لأنني كنت أحبها.. كانت أنانية إلى حد ما، وكانت كريمة جدًّا، ولكنها كانت تحرص على أن تذكِّر الآخرين بفضلها عليهم.. ولذلك لم يُحببْها أحد.. أما أنا فكان موقفي منها يختلف عن الآخرين.. ولقد اتخذت هذا الموقف منذ البداية. فقلت لها: «إن مرتبي هو مبلغ كذا.. فلا أريد بنسًا واحدًا أكثر منه ولا أريد هدايا أو ملابس أو تذاكر مسرح».. ولم تفهمني.. وفسرت احترامي لنفسي بأنه عجرفة.. بيد أنني أحببتها وسهرت عليها.. إلى أن جاء ذلك الوغد الذلق، فذهب إخلاصي ووفائي طوال السنين أدراج الرياح.

– إنني أفهم شعورك يا آنسة.. وهو شعور طبيعي. ولكني أرجو الا تتوهمي أننا نفتقر إلى الإرادة والنشاط لحسم هذه القضية.

وأطل "**چون**" برأسه في هذه اللحظة ليدعونا إلى غرفة السيدة "**إنجلثروب**".. وكان هو و"**ويلز**" قد فرغا لتوهما من فحص أوراق المكتب الذي بالمخدع. وعندما

وصلنا إلى غرفة نوم السيدة "**إنجلثروب**" في الطابق الأول، سألت "**بوارو**" :

– ألا تزال المفاتيح معك يا سيد بوارو"..؟

فقدم "**بوارو**" المفاتيح، وفتح "**چون**" الباب ودخلنا.. وقصد المحامي إلى حيث كان المكتب وتبعه "**چون**" وهو يقول:

– أعتقد أن أمي كانت تحتفظ بأوراقها المهمة في هذه الحقيبة الحمراء.

فأخرج "**بوارو**" حزمة المفاتيح من جيبه وقال:

– دعني أفتحها.. فقد أغلقتها صباح اليوم على سبيل الاحتياط.

– ولكنها مفتوحة.

– مستحيل!

– انظر..

ورفع الغطاء فصاح "**بوارو**" :

– يا للسماء!! لقد كان المفتاحان معي طول الوقت.

وأسرع إلى الحقيبة وفحصها وقال:

– لقد فتح القفل عنوة.

وانهالت الأسئلة في وقت واحد:

– ولكن من فتحها؟!

– ولماذا؟!

– متى! لقد كان باب الغرفة مغلقًا.

وأجاب "**بوارو**" عن الأسئلة بطريقة شبه آلية، قال:

– من؟ هذا هو السؤال، لماذا؟ ليتني أعلم، متى؟ إنني كنت هنا منذ ساعة.. لابد أنها فتحت خلال هذه الفترة، أما باب الغرفة.. فإن قفله من النوع العادي.. وربما أمكن فتحه بأحد مفاتيح الغرف الأخرى.

ونظر بعضنا إلى بعض في ذهول.. وسار "**بوارو**" إلى المدفأة.. وراح يعبث ببعض التحف.. كان يبدو هادئًا في الظاهر، ولكني لاحظت أن يديه ترتجفان

بشدة.

وأخيرًا قال:

- إليكم ما حدث.. كان في هذه الحقيبة دليل ما يثبت التهمة على القاتل. ورأى القاتل أن من الضروري تدمير هذا الدليل قبل أن يكتشف؛ فجازف بدخول الغرفة.. وكانت مجازفة هائلة.. ووجد الحقيبة مغلقة فاضطر إلى فتحها عنوة. إن إقدامه على هذه المجازفة دليل على أهمية الشيء الذي كان في الحقيبة.

- ولكن ما هذا الشيء؟

- لا أعلم، ربما وثيقة ما، أو كان تلك الورقة التي رأتها "**دوركاس**" في يد سيدتها بعد ظهر أمس.. يا إلهي! ما أشد غبائي!! إذ ما كان يجب أن أترك الحقيبة هنا.. والآن لقد اختفى الدليل.. أعدم.. ولكن هل أعدم حقًّا؟ أليس ثمة أمل؟

وانطلق من الغرفة كالمجنون، فتبعته، ولكني ما إن وصلت إلى نهاية السلم حتى كان قد اختفى عن ناظري. ووقفت "**ماري كافنديش**" على درج السلم تشيعه ببصرها. قالت تحدثني:

- ماذا أصاب صديقك العجيب يا سيد "**هاستنجز**"؟ لقد مر بي كالثور الهائج.

- إنه منزعج لأمر ما..

وأردت أن أغير مجرى الحديث فسألتها:

- هل تقابلا؟

- من تعني؟

- السيد "**إنجلثروب**" والآنسة "**هوارد**".

- هل تظن أن لقاءهما سيؤدي إلى كارثة..؟

- ألا تظنين ذلك أيضًا؟

فأجابت وهي تبتسم في هدوء:

– بلى.. إنني أريد أن أشهد ثورة عارمة تنقي الجو.. نحن الآن نفكر كثيراً ونتكلم قليلاً..

– إن "چون" يشفق من لقائهما.. ويحرص على التفريق بينهما.

– آه.. "چون"!!

وقلبت شفتيها فقلت بحدة:

– إن "چون" إنسان طيب.

فنظرت إليّ بفضول ولشد ما كانت دهشتي حين قالت:

– إنك مخلص لصديقك وأنا أحبك لذلك.

– ألست أنت أيضاً صديقتي؟

– إنني صديقة سيئة؟

– لماذا تقولين ذلك؟

– لأن هذه هي الحقيقة.. إنني ألاطف أصدقائي اليوم وأنساهم غداً. ولست أدري ماذا دفعني لأن أقول العبارة التالية التي تنم عن فساد الذوق؟

قلت لها:

– ولكنك تلاطفين الدكتور "باور شتاين" دائماً.

وندمت في الحال على ما قلت.. ورأيت عضلات وجهها تتصلب، وخيِّل إليّ كأن ستاراً من فولاذ قد فصل بينها وبيني.. ودون أن تنطق بكلمة.. دارت على عقبيها، وأخذت ترقى السلم وتركتني ألهث خجلا.. وبعد قليل لحق بي "بوارو" وقال:

– دعنا نذهب يا صديقي.

– هل فرغت من عملك هنا؟

– نعم، مؤقتاً.. هل ترافقني إلى القرية؟

– حبًّا وكرامة.

وعندما هممنا بالانصراف، فُتح الباب فجأة، ودخلت "سنثيا"، فافسح لها "بوارو" الطريق، وقال يحدثها:

– أرجو المعذرة يا آنسة.. ولكن هل حدث مرة أنك قمت بتحضير الأدوية للسيدة "**إنجلثروب**"؟

فاحمر وجه الفتاة وأجابت:

– كلا.

– هل كنت تعدين لها المسحوق المنوم فقط؟

فازداد احمرار وجهها وأجابت:

– نعم، أعددته لها مرة واحدة فقط.

– ووضعته في هذه العلبة؟

وأخرج من جيبه العلبة الفارغة التي ليس على بطاقتها اسم الصيدلية.. فاطرقت برأسها علامة الإيجاب.

– ماذا كان نوع المسحوق.. "**سلفونال**" أو "**فيرونال**"؟

– كلا، كان مسحوق "**البروميد**".

– شكراً لك يا آنسة.. طاب يومك.

ولما ابتعدنا عن البيت، نظرت إليه فإذا بعينيه كزمردتين خضراوين...

كنت قد لاحظت أن عينيه الخضراوين تتألقان كعيني القط كلما انفعل بفكرة أو حادث. قلت له:

– إذن فهذا هو سر العلبة التي لا تحمل اسم الصيدلية؟ كان يجب أن أفطن إليه من تلقاء نفسي.

ولكنه كان مستغرقًا في التفكير، فلم يبد عليه أنه سمع ما قلت. وأخيراً قال وهو يشير بأصبعه من فوق كتفه في اتجاه القصر:

– لقد عثروا هناك على شيء جديد ذكره لي السيد "**ويلز**" ونحن نرقى السلم.

– ما هو؟

- عثروا في درج المكتب الموجود بالمخدع على وصية للسيدة "**إنجلثروب**" يدل تاريخها على أنها كتبت قبل زواجها الأخير.. وفيها توصي بكل ثروتها وممتلكاتها لـ"**ألفريد إنجلثروب**" .. ويبدو أنها كتبتها في فترة الخطبة.. وقد كانت الوصية مفاجاة للسيد "**ويلز**"والسيد "**كافنديش**". كانت مكتوبة على أحد النماذج المطبوعة.. وقد شهد عليها اثنان من الخدم.

- وهل علم "**إنجلثروب**" بأمر هذه الوصية؟

- لا أدري.

- لقد أوقعتنا هذه الوصايا في حيرة شديدة. ولكن حدثني.. كيف أدركت من الكلمات المكتوبة على الظرف القديم أن هناك وصية جديدة...؟

- الم يتفق لك وأنت تكتب رسالة أنك شككت في طريقة هجاء إحدى الكلمات؟

- إن ذلك يحدث كثيراً.. ولجميع الناس.

- حسن، وهل لم يتفق لك في مثل هذه الحالة أنك أخذت في كتابة هذه الكلمة على ورقة خارجية لكي ترى ما إذا كانت تبدو صحيحة؟ إن ذلك هو ما فعلته السيدة "**إنجلثروب**" .. فقد حارت بين كلمتي (أملك) و (أمتلك) فتناولت ظرفًا قديمًا، وكتبت عليه الكلمات: (كل ما أملك) (كل ما أمتلك) وكررت ذلك مراراً لكي ترى أي العبارتين تتفق مع الأسلوب المألوف في كتابة الوصايا.. هذه الكلمات بالإضافة إلى قصاصة الورق التي وجدتها في المدفأة، وهي من النوع المتين الأزرق اللون الذي تكتب عليه الوصايا، أوحت إليّ بأن السيدة "**إنجلثروب**" لابد أن تكون قد كتبت وثيقة تتضمن هذه الكلمات.. وأكدت ذلك حقيقة أخرى، فلقد أغفل الخدم تنظيف البيت صباح اليوم نتيجة للاضطراب الذي ساد بعد المأساة، فوجدت على أرض المخدع بالقرب من المكتب آثار وحل وتراب.. وقد كان الجو صحواً خلال الأيام الأخيرة، فلا يمكن أن تكون الأحذية قد نقلت الوحل إلى أرض المخدع.. وبينما كنت أطل من

النافذة، لاحظت أن شجيرات "البيجونيا" قد غرست حديثًا.. وأن طين الحديقة يشبه في لونه آثار الوحل والتراب التي رأيتها على أرض المخدع، ثم فهمت منك أن الشجيرات غرست بعد ظهر أمس. فأدركت أن أحد البستانيين أو كليهما قد دخلا المخدع... ولو أرادت السيدة "**إنجلثروب**" أن تتحدث إليهما فقط... لكان بوسعها أن تطل عليهما من النافذة وتقول لهما ما تريد... دون أن تسمح لهما بدخول المخدع. وهكذا رجحت أن تكون السيدة "**إنجلثروب**" قد كتبت وصية جديدة ودعت البستانيين إلى مخدعها للتوقيع على الوصية كشاهدين.

- يجب أن أعترف لك بالبراعة يا سيد "**بوارو**".. ولكن ثمة سؤالا آخر.. كيف عرفت أن مفتاح الحقيبة قد فقد؟

- إنني لم أعرف ذلك ولكني خمنته... لقد رأينا المفتاح في قفل الحقيبة.. وعثرنا على حزمة مفاتيح السيدة "**إنجلثروب**"... فلماذا لم يكن هذا المفتاح في الحزمة؟ وإذا كان قد فقد ثم عثر عليه، فلماذا لم ترده السيدة "**إنجلثروب**" إلى مكانه في الحزمة؟

ولقد وجدت ضمن حزمة المفاتيح مفتاحًا جديدًا لامعًا ثبت أنه المفتاح الإضافي لقفل الحقيبة.. وإذن فلابد أن يكون شخص آخر هو الذي وضع المفتاح القديم في القفل.

- وهذا الشخص الآخر هو "**ألفريد إنجلثروب**" دون شك.

فنظر إلي "**بوارو**" في دهشة وسأل:

- هل أنت واثق بأنه المجرم؟

- كل القرائن تثبت ذلك.

- على العكس، فهناك قرائن عديدة في مصلحته.

- إنني لا أعرف منها سوى قرينة واحدة.

- وهي؟

– إنه لم يكن في البيت ليلة أمس.

– ولكن هذه القرينة ضده.

– وكيف ذلك؟

– لو كان يعلم أن زوجته ستموت ليلة أمس، فمن الطبيعي أن يعمل على الاختفاء عن البيت تجنباً للشبهات. إن اختفاءه يثير احتمالين... إما أنه كان يعلم بما سيحدث، وإما أنه كانت لديه أسباب خاصة أدت إلى اختفائه.

– وما هذه الأسباب الخاصة؟

فهز "بوارو" كتفيه وأجاب:

– وكيف أعلم؟ ربما كانت أسباباً مشينة.. إن الرجل قد يكون وغداً.. ولكن ذلك لا يعني بالضرورة أنه قاتل.

فهززت رأسي دلالة على عدم الاقتناع. فقال "بوارو":

– يبدو أننا لسنا على وفاق.. دعنا إذن من هذا الموضوع وسوف تثبت الأيام أننا على حق.. ولنتحدث الآن عن القضية. بماذا تفسر ظاهرة غلق جميع أبواب غرفة النوم بالمزلاج من الداخل؟

– يجب أن ننظر إلى الموضوع بطريقة منطقية، إن الأبواب كانت مغلقة من الداخل.. وقد رأينا ذلك بعيوننا.. ولكن بقعة الشمع على السجادة، وإحراق الوصية في المدفأة.. يدلان على أن شخصاً دخل الغرفة خلال الليل.

– كلام واضح.. أتمم حديثك.

– ولما كان هذا الشخص لم يدخل من النافذة، أو بمعجزة.. فلابد أنه دخل من الباب وأن تكون السيدة "**إنجلثروب**" قد فتحت له الباب بنفسها.. وهذا يدعم اعتقادي بأن هذا الشخص هو الزوج.. فما كانت السيدة "**إنجلثروب**" لتفتح بابها في مثل تلك الساعة إلا لزوجها.

فهز "بوارو" رأسه وقال:

– ولماذا تفتح له الباب؟ إنها أوصدت الباب الموصل بين غرفتيهما بالمزلاج، وهذا

عمل غير طبيعي من جانبها، ثم إنها تشاجرت معه بعد ظهر ذلك اليوم. كلا، إنه آخر رجل يمكن أن تسمح له بدخول غرفتها.

– ولكنك توافقني على أنها هي التي فتحت الباب بنفسها؟

– هناك احتمال آخر.. ربما نسيت السيدة "**إنجلثروب**" أن توصد بابها المؤدي إلى الدهليز بالمزلاج وذهبت لتنام ثم استيقظت فيما بعد وأوصدته.

– هل هذا هو رأيك حقًّا يا "**بوارو**"؟

– كلا، إنه ليس سوى احتمال. والآن، لنتكلم في موضوع آخر، ماذا تستنتج من العبارات التي سمعتها من الحديث الذي دار بين السيدة "**كافنديش**" والسيدة "**إنجلثروب**"؟

– الواقع أنني نسيت كل شيء عن هذا الحديث.. إنه لغز غامض بالنسبة إليَّ.. وأنا لا أستطيع أن أتصور كيف يمكن لامرأة ذات كبرياء وثقافة كالسيدة "**كافنديش**" أن تقحم نفسها بمثل هذا العنف في أمر لا يعنيها.

– تمامًا.

– ومهما يكن الأمر، فإنه حديث لا أهمية له ولا ينبغي أن نضعه في الاعتبار.

فتنهد "**بوارو**" وقال:

– ألم أقل لك مرارًا وتكرارًا إن كل شيء يجب أن يوضع في الاعتبار؟ إذا لم تتفق الحقيقة مع النظرية.. فلتذهب النظرية إلى الشيطان..

كنا قد وصلنا إلى بيت "**بوارو**" فصعدنا إلى غرفته، وقدم إليَّ سيجارة روسية من النوع الذي يطيب له أحيانًا أن يدخنه... وجلسنا أمام نافذة تطل على القرية،، ولفحت وجوهنا نسمة دافئة أنبأتنا بأننا سنستقبل يومًا شديد الحرارة. وفجأة، وقع بصري على شاب يعبر الطريق بخطى واسعة، وقد ارتسمت على وجهه دلائل الهلع، فقلت:

– انظر يا "**بوارو**".

فاطل "**بوارو**" من النافذة ورأى الشاب وقال:

– إنه السيد "**ميس**" الصيدلي... وهو في طريقه إلينا.. والواقع، أن الشاب توقف أمام الباب، وتردد قليلاً ثم راح يدق الباب بعنف فصاح "**بوارو**":

– صبراً لحظة.

وأومأ إليّ بأن أتبعه، وهبط السلم مسرعًا، وفتح الباب وانفجر الشاب على الفور قائلاً:

– معذرة عن الإزعاج يا سيد "**بوارو**"... ولكني علمت أنك قد عدت للتو من قصر "**ستايلز**".

– هذا صحيح.

فبلل الشاب شفتيه بلسانه وقال:

– إن في القرية شائعات كثيرة عن وفاة السيدة "**إنجلثروب**".

ثم استطرد قائلاً بصوت خافت:

– إنهم يقولون إنها ماتت مسمومة... فهل هذا صحيح؟

– هذا أمر لا يحسمه إلا الأطباء يا سيد "**ميس**".

– طبعًا، طبعًا. ولكن أخبرني يا سيد "**بوارو**" هل ورد اسم "**الأستركنين**"؟

فأجابه "**بوارو**" بكلمات لم أسمعها... وانصرف الشاب وهو أشد اضطرابًا مما كان عند قدومه. وأغلق "**بوارو**" الباب، والتقت عيناه بعيني، فأومأ برأسه علامة الإيجاب وقال:

– نعم، سيكون لديه ما يقوله في جلسة التحقيق.

فهممت بأن ألقي عليه سؤالاً، ولكنه أسكتني بحركة من يده وقال:

– ليس الآن يا صديقي.. ليس الآن.. إن ذهني مضطرب.. ويجب أن أنظم أفكاري.

وجلس في مقعده وظلّ بضع دقائق لا ينطق بكلمة ولا يبدي حراكًا.. وأخيرًا تنهد وقال:

– حسن.. لقد مرت الدقائق العصبية، وأصبحت الآن أصفى ذهنًا.. إن حقائق

القضية لم تتضح كلها بعد، ولكن هناك حقيقتين لهما مغزاهما.

– وما هما؟

– الأولى حالة الطقس أمس.. وهذه مسألة ذات أهمية قصوى

– إن الطقس كان صحواً أمس..

– كانت درجة الحرارة كما سجلها الترمومتر أمس 27 درجة مئوية في الظل، وذلك هو مفتاح السر كله..

– والحقيقة الثانية؟

– والحقيقة المهمة الثانية.. هي أن السيد "**إنجلثروب**" يرتدي ثياباً عجيبة، وله لحية سوداء، ويضع على عينيه نظارة.

– هل تهزل يا "**بوارو**"؟

– إنني جاد تماماً..

– هب أن هيئة المحلفين أصدرت قرارها بإدانة "**ألفريد إنجلثروب**".. فماذا سيكون مصير نظرياتك؟

– إن نظرياتي لن يزعزعها جهل اثني عشر رجلاً تورطوا في الخطإ.. ولكني واثق بأن المحلفين لن يصدروا مثل هذا القرار.. أولاً – لأنهم ريفيون ويخشون مسؤولياتهم الخطيرة.. وثانياً – لأن السيد "**إنجلثروب**" يعد الآن من كبار الملاك في المنطقة... يضاف إلى هذا وذاك أنني لن أسمح بأن يصدر مثل هذا القرار.

– لن تسمح؟!

– أصغ إليّ يا صديقي... إنني لم أكف طوال الوقت عن التفكير في السيدة "**إنجلثروب**" المسكينة.. إنها لم تكن محبوبة... ولكنها كانت كريمة معنا نحن البلچيكيين.. وأنا أشعر بأنني مدين لها...

فهممت بمقاطعته ولكنه مضى يقول:

– دعني أقل لك شيئاً يا "**هاستنجز**". إن السيدة "**إنجلثروب**" ما كانت لتغفر لي لو أنني تركت زوجها يُعتقل الآن، بينما أستطيع بكلمة مني أن أنقذه.

- 6 -

التحقيق

لم يفتر نشاط "بوارو" طوال الفترة السابقة لجلسة التحقيق، فاجتمع مرتين مع السيدة "ويلز"، وسار على قدميه مسافات طويلة في الحقول، وساءني أنه لم يذكر لي شيئًا عن تحركاته وأهدافه. وذات يوم، ذهبت لزيارته في بيته فلم أجده، وخطر لي أنه ربما ذهب إلى مزرعة "ريكس" للقيام ببعض التحريات، فسرت بين الحقول على أمل أن ألقاه، ولكنني لم أقع له على أي أثر.

وقررت بعد تردد، أن أواصل السير إلى المزرعة. وبينما كنت في طريقي إليها، التقيت بمزارع عجوز نظر إليّ بخبث وسألني:

– هل أنت من سكان القصر؟

– نعم، وقد جئت للبحث عن صديق أعتقد أنه مرّ من هنا.

– هل صديقك رجل قصير القامة من أولئك البلچيكيين الذين يقيمون في القرية؟

– نعم، هل رأيته؟

– إنه جاء إلى هنا مرارًا.. ولكن هل هو صديقك حقًّا؟

وابتسم ساخرًا واستطرد قائلاً:

– ما أخبثكم يا رجال القصر! إنكم تختلقون مختلف الأعذار للتسلل إلى مزارع الآخرين...

– ماذا تعني؟ هل يأتي الكثيرون من رجال القصر إلى هنا؟

فغمز بعينه وقال:

– بل أعني واحدًا بعينه.. سخيًّا غاية السخاء، ولا ضرورة لذكر اسمه.

وتركت الرجل ومضيت في طريقي. وإذن فقد كانت "إيفيلين هوارد" على

حق!! وشعرت بالاشمئزاز حين فكرت في "**ألفريد إنجلثروب**" وفي الوجوه التي ينفق فيها أموال زوجته بسخاء... ولم أتمالك نفسي عن التساؤل: «ترى، هل كان للسيدة "**ريكس**" الفاتنة دور في الجريمة؟ أم أن هدفها كان الحصول على المال فحسب؟

*****

وكانت هناك فكرة تضايق "**بوارو**" وتقض مضجعه... فقد ذكر لي أكثر من مرة أنه يعتقد أن "**دوركاس**" أخطأت في تحديد الوقت الذي حدثت فيه المشاجرة... ولم يجد بدًّا من استدعاء الوصيفة لاستجوابها مرة أخرى.. وحاول في حديثه إليها أن يقنعها بأن المشاجرة لابد أن تكون قد حدثت في الرابعة والنصف لا في الرابعة... ولكن "**دوركاس**" لم تتزحزح عن موقفها.. وعقدت جلسة تحقيق الوفاة في موعدها المقرر، وجلست مع "**بوارو**" في أحد أركان القاعة لمتابعة ما يجري. وكان الشاهد الأول هو "**چون كافنديش**"، فوصف الظروف التي اقترنت بوفاة أمه، والحالة التي كانت عليها المتوفاة حين استيقظ في الساعات الأولى من الصباح، وخف لنجدتها. ودعي الدكتور "**باور شتاين**" للإدلاء بشهادته. فحبس الحاضرون أنفاسهم. واتجهت جميع الأنظار إلى هذا الإخصائي الكبير، الذي يعد من أعظم خبراء العصر في العقاقير السامة. وبعبارات موجزة، لخص "**باور شتاين**" نتيجة التشريح، وهي تؤكد أن الوفاة نتجت عن التسمم بـ"**الاستركنين**"، وأن الكمية التي تناولتها المتوفاة لا تقل عن ثلاثة أرباع الجرام... وربما تزيد على الجرام قليلاً. وسأله المحقق:

– ألا يمكن أن تكون قد تناولت السم بطريق الخطإ؟

– لا أظن ذلك، فـ"**الأستركنين**" ليس من المواد التي تستخدم في أغراض منزلية، وقد فرضت قيود على تسويقه.

– هل دلت فحوصك على الطريقة التي حدث بها تناول السم؟

– كلا.

– إنك وصلت إلى القصر قبل الدكتور "ويلكنز" فيما أعتقد؟

– نعم، كانت سيارة القصر في طريقها إلى الدكتور "ويلكنز" وكنت ماراً بالقصر فأسرعت بالدخول.

– هل لك أن تروي لنا ما حدث بعد ذلك؟

– دخلت غرفة السيدة "إنجلثروب" ووجدتها في حالة تشنج مخيفة، فنظرت إليّ وصاحت: « "ألفريد"... "ألفريد" ».

– هل من المحتمل أن يكون السم قد وضع في القهوة التي حملها إليها زوجها بعد العشاء؟

– ربما، ولكن "الأستركنين" عقار سريع المفعول تظهر أعراضه خلال فترة تتراوح بين ساعة وساعتين من تناوله. ويتأخر مفعوله في ظروف معينة لم تتوفر في الحالة التي نحن بصددها، وقد تناولت السيدة "إنجلثروب" القهوة بعد العشاء حوالي الساعة الثامنة. ولم تظهر الأعراض إلا في الساعات الأولى من الصباح... مما يدل على أن تناول السم قد حدث بعد الساعة الثامنة بوقت طويل.

– لقد اعتادت السيدة "إنجلثروب" أن تتناول قدحاً من الكاكاو في منتصف الليل، ألا يحتمل أن يكون السم قد وضع في الكاكاو؟

– كلا، فقد أخذت عينة من وعاء الكاكاو وقمت بتحليلها ولم أجد بها أثراً لـ"الأستركنين". ولم أتوقع أن تكون النتيجة غير ذلك؛ لأن "الأستركنين" عقار شديد المرارة ويمكن تبينه إذا وضع جرام واحد منه في سبعين ألف جرام من السوائل. والكاكاو ليس من الكثافة بحيث يحجب طعمه ومذاقه مرارة "الأستركنين".

وهنا سأله أحد المحلفين:

– هل يمكن أن ينطبق ذلك على القهوة أيضًا؟

فأجاب:

– كلا، إن للقهوة مرارتها الخاصة التي تحجب مرارة "**الأستركنين**" .

– إذن أنت ترجّح أن السم قد وضع في القهوة، ولكن تأثيره تأخر لأسباب غير معلومة؟

– نعم، ولكن قدح القهوة تهشم تمامًا، فاستحال إخضاع محتوياته للتحليل.

وبذلك انتهت شهادة الدكتور "**باور شتاين**" ، وجاء الدكتور "**ويلكنز**" فأيد أقوال زميله. وعندما أثيرت فكرة الانتحار نفاها تمامًا.. وقال إن المتوفاة كانت تعاني ضعفا في القلب، ولكنها فيما عدا ذلك كانت تتمتع بصحة جيدة، كما أنها كانت مرحة ومتزنة العقل، فهي إذن آخر من يمكن أن يفكر في الانتحار.

ودُعي "**لورنس كافنديش**" لأداء الشهادة، ولم تختلف أقواله عن أقوال أخيه.. ولكنه ما إن فرغ من شهادته حتى قال بعد تردد قصير:

– هل أستطيع الإدلاء برأي خاص؟

– طبعًا، طبعًا يا سيد "**كافنديش**"، إن مهمتنا هي تقصّي الحقائق، والترحيب بكل ما يؤدي إليها.

– إنها فكرة خاصة طرأت لي وقد أكون مخطئًا... ولكن يخيل إليّ أن وفاة أمي كانت طبيعية تمامًا...

– كيف؟!

– كانت أمي في الفترة الأخيرة تتناول عقاقير مقوية تحتوي على مادة "**الأستركنين**" .

– آه!

واتجهت أنظار المحلفين إلى "**لورنس**" ومضى هذا يقول:

– لقد حدث في كثير من الحالات أن أدت خاصية الترسيب في العقاقير التي يتناولها المريض لمدة طويلة إلى الوفاة... ثم ألا يحتمل أن تكون أمي قد تناولت جرعة كبيرة من الدواء بطريق الخطإ؟

– هذه أول مرة نسمع فيها أن المتوفاة كانت – قبل موتها – تتناول دواء يشتمل على "**الأستركنين**"، إننا نشكرك على هذه المعلومة يا سيد "**كافنديش**".

ولكن الدكتور "**ويلكنز**" سخف الفكرة، وقال:

– إن ما قاله السيد "**كافنديش**" مستحيل! صحيح أن "**الأستركنين**" يترسب إلى حد ما، ولكنه لا يمكن أن يؤدي إلى الموت الفجائي على هذا النحو... إن الترسب ينتج أعراضًا مرضية تستمر فترة طويلة من الزمن، وكان لابد لي أن ألاحظها بصفتي طبيب المتوفاة.

– والافتراض الثاني عن احتمال تناول المتوفاة جرعة كبيرة بطريق الخطأ؟

– إن ثلاث أو أربع جرعات لا يمكن أن تؤدي إلى الوفاة... ولابد أن تتناول المتوفاة محتويات زجاجة كاملة لكي تترسب في أمعائها كمية من "**الأستركنين**" كتلك التي أسفر عنها التشريح.

– هل يجب إذن أن نستبعد الدواء كسبب لحدوث الوفاة؟

– بكل تأكيد.

فسأله أحد المحلفين ألا يمكن أن يكون الصيدلي قد أخطأ في تحضير الدواء؟ فأجاب:

– ذلك ممكن طبعًا...

ولكن "**دوركاس**" التي أدلت بشهادتها بعد ذلك، نفت هذا الاحتمال بصفة قاطعة، إذ قالت إن الدواء قد تم تحضيره منذ وقت طويل، وإن السيدة "**إنجلثروب**" تناولت آخر جرعة في الزجاجة في يوم وفاتها.

وهكذا استبعد المحقق الدواء كسبب للوفاة. وقررت "**دوركاس**" أنها استيقظت على رنين جرس سيدتها، ثم أيقظت الآخرين، وسئلت عن المشاجرة التي سمعت

طرفًا منها، فلم تختلف إجابتها عما سبق أن ذكرته لنا. ودعيت "**ماري كافنديش**" للإدلاء بأقوالها، فوقفت منتصبة القامة مرفوعة الرأس، وتكلمت بصوت خافت واضح النبرات. وأجابت عن سؤال المحقق، فقالت إنها استيقظت في الساعة الرابعة والنصف لتباشر عملها في حظيرة الأبقار كالعادة، وسمعت فجأة صوت سقوط شيء ثقيل، فقال المحقق:

– لابد أنه كان صوت سقوط المائدة الصغيرة المجاورة للفراش. استطردت "**ماري**" قائلة:

– ففتحت الباب وأصغيت السمع.. وبعد لحظة رنّ أحد الأجراس رنينًا عنيفًا، واقبلت "**دوركاس**" مسرعة وأيقظت زوجي، وانطلقنا جميعًا إلى غرفة "**إنجلثروب**" ووجدنا بابها مغلقًا..

وهنا قاطعها المحقق قائلاً:

– لا تكلفي نفسك عناء سرد هذه التفصيلات، فقد سبق أن سمعناها. وحبذا لو ذكرت لنا ما سمعته من المشاجرة التي حدثت في اليوم السابق..

– أنا؟!

وكانت في صوتها رنة تحد... ومدت يدها إلى ياقة ثوبها لتصلح من وضعها، وأدركت على الفور أنها تريد كسب بعض الوقت. قال المحقق:

– نعم، فقد علمت أنك كنت تجلسين على مقعد تحت نافذة المخدع، وبيدك كتاب تقرئينه... فهل هذا صحيح؟

كان هذا النبأ جديداً بالنسبة إليَّ، فنظرت بطرف عيني إلى "**بوارو**"، ولاحظت من قسمات وجهه أن النبأ كان جديداً عليه أيضًا.

وترددت "**ماري**" لحظة قصيرة ثم أجابت:

– نعم، هذا صحيح.

– وكانت نافذة المخدع مفتوحة.. أليس كذلك؟

فشحب وجهها قليلاً وأجابت:

- بلى.

- إذن فلابد أنك سمعت ما دار من حديث داخل المخدع، وخاصة أن الأصوات كانت مرتفعة وغاضبة.. والواقع أنها كانت أوضح بالنسبة إليك منها بالنسبة إلى شخص يجلس في البهو.

- ربما؟

- هل لك أن تذكري ما سمعته؟

- لا أذكر أنني سمعت شيئًا.

- هل تعنين أنك لم تسمعي الأصوات؟

- بل سمعتها.. ولكني لم أتبين الكلمات.. فليس من عاداتي الإنصات إلى المحادثات الخاصة.

- ألا تذكرين شيئًا على الإطلاق يا سيدة "**كافنديش**"؟ ألا تذكرين كلمة شاردة أو عبارة مما حملك على الاعتقاد بأنها محادثة خاصة؟

فصمتت قليلاً كأنما تفكر... ولكنها ظلّت على هدوئها، ثم قالت:

- نعم، أذكر أن السيدة "**إنجلثروب**" قالت شيئا عن... عن إثارة فضيحة بين زوج وزوجته.

- آه.. هذا يتفق مع ما سمعته "**دوركاس**"... ولكن معذرة يا سيدة "**كافنديش**"... فعلى الرغم من أنك أدركت أنها محادثة خاصة، فإنك لم تحاولي الانتقال من مكانك وظللت حيث كنت.

فرمقته بنظرة خُيِّل إليَّ معها أنها لو استطاعت، لنشبت أظافرها في المحقق، ومزقته إربًا.

بيد أنها أجابت بهدوء تام:

- لم أنتقل من مكاني؛ لأني كنت أشعر بالارتياح فيه، ولأن تفكيري كان مركزًا في القراءة.

- هل هذا كل ما عندك؟

وانتهت أسئلة المحقق، ولكنني كنت واثقًا بأنه لم يقتنع، وإن كان على يقين بأن "**ماري كافنديش**" تعرف أكثر مما قالت. ودعيت "**آمي هيل**"، من أصحاب الحوانيت في القرية، فقررت أنها بعد ظهر يوم 17 الجاري باعت لـ"**وليم إيرل**" – مساعد البستاني في قصر "**ستايلز**" – نموذجًا يستعمل لتحرير الوصايا.

وجاء "**إيرل**" و"**مانينج**"، وقررا أنهما وقعا كشاهدين على إحدى الوثائق، وقال "**مانينج**": إن ذلك حدث في نحو الساعة الرابعة والنصف، بينما قال "**وليم**": إن التوقيع حدث قبل هذا الموعد. ودعيت "**سنثيا**" فقالت إنها لم تكن تعرف شيئًا عن المأساة إلى أن أيقظتها السيدة "**كافنديش**". فسألها المحقق:

– ألم تسمعي صوت سقوط المائدة؟

– نعم.. لم أسمع... كنت مستغرقة في النوم..

فابتسم المحقق وقال:

– الأبرياء ينامون نومًا عميقًا... شكرًا لك يا آنسة...

وجاءت "**إيفيلين هوارد**" فقدمت الخطاب الذي أرسلته إليها السيدة "**إنجلثروب**" في مساء يوم 17 الجاري. وكنت و"**بوارو**" نعرف مضمونه، وفيما يلي نصه:

«عزيزتي "**إيفيلين**"...

ألا يمكن أن نتناسى خلافاتنا؟ لقد كان من العسير عليَّ أن أغفر لك حملاتك على زوجي العزيز... ولكنني عجوز حمقاء... وأهم من ذلك أنني أحبك».

المخلصة

"**أميلي إنجلثروب**"

وقال المحقق وهو يدفع بالخطاب إلى المحلفين:

– هذا الخطاب لا يفيدنا كثيرًا؛ إذ لم يرد به شيء عن أحداث ذلك اليوم.

فقالت "**إيفيلين**" :

– ولكنه واضح الدلالة على أن صديقتي المسكينة قد اكتشفت أخيراً أنها خدعت.

– إن الخطاب لا يتضمن شيئًا بهذا المعنى.

– ذلك لأن "**أميلي**" كانت مطبوعة على عدم الاعتراف بخطئها. إنني أعرفها جيداً... كانت تلف وتدور مثل أكثر الناس ولكنني لست من هذا الطراز..

فابتسم المحقق كما ابتسم بعض المحلفين. ويبدو أن "**إيفيلين**" كانت معروفة ومحبوبة. قالت:

– وعلى كل حال فإني لا أرى إلا كلامًا.. ومزيداً من الكلام، في حين أننا جميعًا نعرف أن...

وهنا قاطعها المحقق قائلاً بسرعة:

– شكرًا لك يا آنسة "**هوارد**"... هذا كل ما هنالك .

وخيل إليّ أنه تنفس بارتياح حين رآها تغادر مقعد الشهود..

ثم حدثت المفاجأة الكبرى حين دعي "**ألبرت ميس**" الصيدلي للإدلاء بأقواله. وكان الشاب ممتقع الوجه بادي الاضطراب، وقد أجاب عن أسئلة المحقق فقال إنه صيدلي مؤهل، وإنه يباشر عمله في الصيدلية منذ وقت قصير، بعد أن دعي سلفه لأداء الخدمة العسكرية.

– سيد "**ميس**".. هل بعت مؤخرًا كمية من "**الأستركنين**" لشخص ليس من حقه الحصول عليه؟

– نعم يا سيدي..

– متى كان ذلك؟

– في ليلة الاثنين الماضي.

– الاثنين.. لا الثلاثاء؟

– كلا يا سيدي، الاثنين 16 الجاري.

– وهل تستطيع أن تذكر لنا لمن بعت "**الأستركنين**"؟

ومع هذا السؤال كان من الممكن لو ألقي دبوس في تلك اللحظة لسمعت رنته.

وأجاب الصيدلي:

– نعم يا سيدي.. إنني بعته للسيد "**إنجلثروب**".

فتحولت جميع الأنظار إلى "**ألفريد أنجلثروب**" الذي جلس كالتمثال لا يبدي حراكا.

– هل أنت واثق بما قلت؟

– كل الوثوق يا سيدي.

– هل تعودت أن تبيع "**الأستركنين**" سرًّا؟

فتحرك الشاب التعس في مكانه بقلق وأجاب:

– كلا يا سيدي، ولكني كنت أعلم أن السيد "**إنجلثروب**" من أصحاب القصر، وخيل إليّ أنه لا ضرر من أن أبيعه "**الأستركنين**" وقد قال إنه يريده لتسميم كلب مسعور.

وأخذتني الشفقة بالشاب التعس، الذي كان كل ذنبه أنه أراد اكتساب زبائن جدد أغنياء تعودوا التعامل مع صيدليات "**لندن**".

قال المحقق:

– أليس من المألوف أن يوقع مشتري العقاقير السامة باسمه في سجل خاص؟

– بلى يا سيدي، وقد وقع السيد "**إنجلثروب**" باسمه.

– وهل أحضرت السجل؟

– نعم..

وقدم السجل، فتناوله المحقق وصرف الشاهد بعد أن عنفه على المخالفة الخطيرة التي تورط فيها ببيعه عقاراً سامًّا لمن لا يجوز له الحصول عليه. ودعي "**ألفريد**

إنجلشروب" فتقدم للشهادة وسط صمت عميق... وتساءلت وأنا أنظر إليه: «ترى هل يشعر بأنه قاب قوسين أو أدنى من المشنقة؟!» وتكلم المحقق في الموضوع مباشرة، وقال:

– هل ابتعت في مساء الاثنين الماضي كمية من "**الأستركنين**" لتسميم كلب مسعور؟

فأجاب "**إنجلشروب**" بهدوء تام:

– كلا، ولا يوجد لدينا سوى كلب واحد لحراسة الأغنام، وهو يتمتع بصحة جيدة.

– هل تنكر أنك اشتريت من السيد "**ميس**" كمية من "**الأستركنين**" في مساء يوم الاثنين الماضي؟

– نعم.

– وهل تنكر هذا أيضًا؟

وأشار إلى توقيعه في السجل، فأجاب الشاهد:

– نعم، فالخط يختلف تمامًا عن خطي.. ها هوذا توقيعي.

وأخرج من جيبه ظرفًا قديمًا وقّع عليه بإمضائه وقدمه إلى هيئة المحلفين...كان الاختلاف بين التوقيعين واضحًا. وسأل المحقق:

– إذن بماذا تفسر اعتراف السيد "**ميس**"؟

– لابد أنه أخطأ.

فتردد المحقق لحظة ثم قال:

– يا سيد "**إنجلشروب**"... هل تستطيع أن تذكر لنا أين كنت في مساء يوم الاثنين 16 تموز (يوليو)؟

– الواقع أنني لا أذكر.

– غير معقول. فكر جيدًا يا سيد "**إنجلشروب**".

فهز "**إنجلشروب**" رأسه وأجاب:

– كل ما أذكره أنني خرجت للنزهة.

– في أي اتجاه سرت؟

– لا أذكر..

فقطب المحقق حاجبيه وسأل:

– هل كنت بصحبة أحد؟

– كلا.

– هل قابلت أحداً في الطريق؟

– كلا.

– هذا أمر يؤسف له!! هل أفهم من ذلك أنك ترفض تحديد المكان الذي كنت فيه في الوقت الذي يؤكد السيد "**ميس**" أنه رآك وأنت تدخل الصيدلية لشراء "**الأستركنين**"؟

– لك أن تفهم ما تريد...

– حذار يا سيد "**إنجلثروب**".

وهنا تحرك "**بوارو**" في مقعده بقلق وهمس قائلاً:

– تبًّا له... هل يريد هذا الغبي أن يُلقى القبض عليه؟

والواقع، أن إجابات "**إنجلثروب**" لم تكن مقنعة على الإطلاق، وقد تركت أثراً سيئًا في نفوس المحلفين. غير أن المحقق ما لبث أن انتقل إلى النقطة التالية، فتنفس "**بوارو**" الصعداء. قال المحقق:

– هل دارت مناقشة حادة بينك وبين زوجتك بعد ظهر يوم الثلاثاء؟

– كلا، لم تدر بيني وبين زوجتي أية مناقشة، ولم تحدث أية مشاجرة، والقصة كلها لا أساس لها من الصحة؛ لأنني كنت غائبًا عن البيت طوال فترة الظهيرة.

– هل لديك من يؤيد هذا الكلام؟

– حسبك أنني قلت ذلك.

– يوجد شاهدان على استعداد لأن يقررا أنهما سمعا الحوار بينك وبين زوجتك.

– هذان الشاهدان قد أخطآ!

فدهشت حيث كان الرجل يتكلم بثقة واطمئنان. فنظرت إلى "**بوارو**" ورأيت على شفتيه ابتسامة سرور لم أفهم معناها. ترى هل اقتنع أخيراً بجريمة "**إنجلثروب**"؟ قال المحقق:

– يا سيد "**إنجلثروب**".. إنك سمعت هنا آخر الكلمات التي قالتها زوجتك وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة.. فهل بوسعك أن تجد لها تفسيراً؟

– طبعًا.. والتفسير بسيط للغاية.. كان النور في الغرفة ضعيفًا... ولما كان الدكتور "**باور شتاين**" يشبهني طولاً وقوامًا وله لحية كلحيتي، فقد ظنت زوجتي المسكينة أنها تراني، فهتفت باسمي.

فهتف "**بوارو**" قائلا:

– يا له من تعليل!!

فسألته هامسًا:

– أهي الحقيقة؟

– لم أقل إنها الحقيقة.. إنما قلت إنه تعليل بارع!!

واستطرد "**إنجلثروب**" قائلاً:

– إنك تنظر إلى كلمات زوجتي الأخيرة على أنها اتهام.. ولكنها في الواقع كانت استغاثة.. كانت المسكينة تستغيث بي مما تعاني.

ففكر المحقق قليلا، ثم قال:

– المفهوم أنك في ليلة المأساة قد صببت القهوة في قدح زوجتك، ثم حملته إليها.

– إنني صببت القهوة في القدح حقًّا.. ولكني لم أحمله إليها. كان في نيتي أن أفعل ذلك، ولكن قيل لي إن صديقًا ينتظرني بالباب، فوضعت القدح على

مائدة في البهو وخرجت.. وعندما عدت إلى البهو بعد بضع دقائق، لم أجد القدح..

قد يكون هذا الكلام هو الحقيقة وقد لا يكون.. ولكنه لا يؤثر في مركز "**إنجلثروب**" ولا يعفيه من الاتهام، فقد كان لديه الوقت الكافي في كلتا الحالتين لكي يضع السم في القهوة. ولفت "**بوارو**" نظري في هذه اللحظة إلى رجلين يجلسان على مقربة من باب القاعة، أحدهما قصير القامة أسمر البشرة والثاني طويل أشقر.. ونظرت إلى "**بوارو**" متسائلاً، فأدنى فمه من أذني وهمس قائلاً:

– هل تعرف من الرجل القصير القامة؟

فهززت رأسي سلبًا.. ثم قال:

– إنه "**چيمس جاب**" مفتش البوليس بـ"**اسكتلانديارد**" وزميله من "**اسكتلانديارد**" أيضًا. إن الأمور تسير بسرعة مذهلة أيها الصديق.

نظرت إلى الرجلين، ولم أر في مظهرهما ما يدل على أنهما من رجال الشرطة، أو حتى من الرسميين. وكنت لا أزال أراقبهما حين سمعت المحقق يصدر قراره بأن (الوفاة جنائية والفاعل مجهول).

- 7 -

"بوارو" يسدد دينه

ما إن غادرنا قاعة الجلسة حتى ضغط "**بوارو**" على ساعدي بلطف وانتحى بي جانبا، فأدركت أنه ينتظر رجلي "**اسكتلانديارد**". وخرج الرجلان بعد لحظات فتقدم "**بوارو**" من أقصرهما قامة وهو يقول:

– لعلك لا تذكرني أيها المفتش "**جاب**".

– آه! يا سيد "بوارو"..

والتفت إلى زميله واستطرد قائلاً:

– هل سمعت أحاديثي عن السيد "بوارو"؟ إننا عملنا معًا في قضية "إبركومب".. ذلك المزور الخطير الذي قبضنا عليه في "بروكسل".. وهل تذكر البارون "إلتارا"؟ إنه راوغ بوليس "أوربا" كلها... ولكننا قبضنا عليه في "أنتويرب" بفضل السيد "بوارو".

وقدمني "بوارو" إلى "جاب"، وقدمنا هذا بدوره إلى زميله المفتش "سمرهاي". فقال "بوارو":

– أظن أنني لست بحاجة إلى أن أسألكما عما تفعلانه هنا.

فأجاب "جاب" وهو يغمز بعينه:

– كلا طبعًا، والقضية واضحة كالشمس كما ترى.

– اسمح لي أن أخالفك في ذلك.

فقال "سمرهاي":

– كيف؟ إن الرجل متورط إلى أذنيه.. ومن عجب أن يكون مغفلاً إلى هذا الحد.

فقال "جاب":

– مهلاً، مهلاً يا "سمرهاي".. إنني عملت مع السيد "بوارو" قبل الآن.. إذا كان هناك رجل أحترم رأيه، فهذا الرجل هو "بوارو"، ويخيل إليّ إذا لم أكن مخطئًا، أنه يعرف عن هذه القضية أكثر مما نعرف..

فابتسم "بوارو" وقال:

– الواقع أنني عاصرت القضية منذ بدايتها، وقد توصلت إلى بعض النتائج.

فقال "جاب":

– أمّا نحن فإننا لا نعرف عنها أكثر مما سمعناه في جلسة التحقيق.. وواضح مما سمعناه أن "إنجلثروب" قتل زوجته. وإني لأعجب لماذا لم يوجه إليه المحقق تهمة

القتل ويأمر باعتقاله فوراً!

فقال "**بوارو**" :

– يخيل إليّ أن في جيبك أمراً بالاعتقال.

فأجاب "**جاب**"، وعلى شفتيه ابتسامة غامضة:

– ربما.

– يهمني أيها السادة ألا يعتقل "**إنجلثروب**" في الوقت الحاضر.

فقال "**سمرهاي**" ساخراً:

– أحقًّا؟!

وقال "**جاب**" :

– الاتستطيع الإشارة إلى الأسباب – ولو تلميحًا – يا سيد "**بوارو**"؟ أنت تعلم أن "**اسكتلانديارد**" يهمها كثيراً ألا تتورط في خطإ.

– هذا ما ظننته. إنك إذا اعتقلته، فسوف تجد نفسك في مأزق؛ لأن التهمة ستسقط عنه فوراً.

فقال "**جاب**" وهو يجفف عرقه:

– إنني أصدقك يا سيد "**بوارو**".. ولكن هناك رؤساء سوف يسألونني: لماذا لم أعتقله؟ فهلا أوضحت قليلا؟

ففكر "**بوارو**" لحظة ثم أجاب:

– حسن، كنت أود أن أخفي أوراقي في الوقت الحاضر على الأقل، ولكنك على حق فيما قلت.. هل ستذهبان فوراً إلى قصر "**ستايلز**"؟

– سنكون هناك بعد نصف ساعة.. يجب أن نقابل المحقق، والطبيب أولاً.

– حسن.. سأنتظركما في بيتي.. إنه آخر بيت في القرية.. سأذهب معكما إلى قصر "**ستايلز**".. وإذا رفض "**إنجلثروب**" الكلام، وذلك ما أرجحه. فإنني سأقدم لكما من الأدلة ما يقنعكما بأن اتهامه لا يقوم على أساس.. اتفقنا؟

– اتفقنا..

وانصرف الرجلان.. وهتف "بوارو" قائلاً دون أن يترك لي فرصة الكلام:

– ما رأيك أيها الصديق؟ لقد مرت بي لحظات رهيبة خلال التحقيق، ولم أكن لأتصور أن ذلك الغبي سيرفض الكلام بهذا الإصرار.

– قد يكون هناك سبب آخر غير الغباء. هب أنه مذنب، فهل هناك وسيلة يدافع بها عن نفسه غير الصمت؟

– هناك ألف وسيلة.. وكل منها أفضل من الصمت والإنكار.

– ولكن إذا كنت واثقًا ببراءته إلى هذا الحد، فبماذا تفسر شراءه لـ"**الأستركنين**"؟

– التفسير بسيط للغاية.. إنه لم يشتره.

– ولكن "**ميس**" قد عرفه!!

– معذرة.. إن "**ميس**" لم يتعرف عليه. إنه رأى رجلا ذا لحية كلحية "**إنجلثروب**".. ويضع على عينيه نظارة كنظارة "**إنجلثروب**".. ويرتدي ثيابًا تجذب النظر كثياب "**إنجلثروب**".. ولكن لم يكن بوسعه أن يتعرف على رجل رآه من بعيد مرة أو مرتين.. ولا تنس أن "**ميس**" لم يحضر للعمل في صيدلية القرية إلا منذ أسبوعين.. وأن السيدة "**إنجلثروب**" كانت تتعامل أصلاً مع صيدليات "**تادمنستر**" و"**لندن**"..

– هل تعتقد إذن أن..؟

– هل تذكر يا صديقي النقطتين اللتين أكدت عليهما.. دع الآن النقطة الأولى.. فماذا كانت النقطة الثانية؟

– إن "**إنجلثروب**" يرتدي ملابس خاصة تلفت النظر، وإن له لحية سوداء ويضع على عينيه نظارة..

– تمامًا.. والآن هب أن شخصًا أراد أن يتنكر في شكل "**چون**" أو "**لورنس كافنديش**" فهل من السهل عليه أن يفعل ذلك؟

– كلا، اللهم إلا إذا كان ممثلاً..

- سأقول لك لماذا ليس من السهل التنكر في شكلهما؟ لأنهما حليقا الوجه.. ومن يتنكر في شكليهما في وضح النهار ينبغي أن يكون ممثلاً موهوبًا.. وأن تكون له ملامح كملامحهما.. أما في حالة "**إنجلثروب**" فإن الأمر لا يتطلب سوى لحية سوداء وثياب كثيابه ونظارة تخفي عينيه.

والآن.. ماذا يهم المجرم قبل كل شيء؟ أن يبعد الشبهة عن نفسه.. أليس كذلك؟ وما أفضل وسيلة لذلك؟ أفضل وسيلة هي أن يحول الشبهة إلى شخص آخر.. وفي حالتنا هذه كان الشخص الآخر موجود.. إن الجميع يرتابون في "**إنجلثروب**".. وأصابع الاتهام كلها تشير إليه.. ولتوكيد التهمة.. يجب أن يكون هناك دليل قاطع.. وهل ثمة دليل أقطع من شراء السم؟

- ولكن إذا صح ذلك، فلماذا لم يذكر "**إنجلثروب**" أين كان في الساعة السادسة من مساء يوم الاثنين؟

- نعم، لماذا؟ إنه قد يتكلم إذا قبض عليه، ولكني لا أرى أن يصل الأمر إلى هذا الحد، وسأحاول أن أقنعه بخطورة موقفه.. إن وراء صمته أسبابًا مريبة.. فهو ربما لم يقتل زوجته.. ولكن من المحقق أنه وغد.

وكنا قد وصلنا إلى غرفة "**بوارو**"، فاستأنف الحديث قائلاً:

- لندع "**إنجلثروب**" جانبًا الآن.. ما رأيك فيما حدث في جلسة التحقيق؟

فانصرف ذهني على الفور إلى "**ماري كافنديش**"، ولكني تعمدت المراوغة وأجبت:

- ماذا تعني؟

- أعني شهادة "**لورنس كافنديش**" مثلاً.. أليس مما يبعث على الدهشة قوله: إن الوفاة حدثت قضاء وقدرا، نتيجة للدواء الذي كانت أمه تتعاطاه؟!

- كلا، إطلاقًا.. لقد عبر عن رأيه كشخص عادي.

- ولكن "**لورنس**" ليس شخصًا عاديًا. ألم تقل لي إنه درس الطب وتخرج طبيبًا؟

– الواقع أنني نسيت ذلك.

– لقد كان سلوكه غريبا منذ البداية، كان هو الوحيد دون سكان القصر جميعًا الذي كان في استطاعته معرفة أعراض التسمم بـ" **الأستركنين**" ، ولكنه على الرغم من ذلك كان أشد المتحمسين لنظرية الوفاة الطبيعية.. أليست هذه ظاهرة تستحق التفكير أيها الصديق؟

– إن الأمر محير حقًا.

– ثم هناك السيدة "**ماري كافنديش**" .. إنها لم تقل كل ما تعرفه.. ما رأيك في موقفها؟

– إنني لم أفهمه.. ليس من المعقول أنها تريد التستر على "**إنجلثروب**" .. ولكن موقفها يوحي بأنها تتستر عليه.

– نعم، إنه لموقف غريب حقًا. شيء واحد مؤكد هو أنها سمعت من تلك (المحادثة الخاصة) أكثر مما أدلت به، ولكن شهادتها أثبتت أنني أخطأت، وأن "**دوركاس**" كانت على صواب حين أكدت أن المشاجرة حدثت حوالي الساعة الرابعة مساء.

فنظرت إليه في دهشة؛ لأنني لم أفهم قط معنى اهتمامه بهذه النقطة.

– نعم، لقد ظهرت أشياء كثيرة عجيبة خلال التحقيق، إليك مثلاً الدكتور "**باور شتاين**" .. ماذا كان يفعل في تلك الساعة المبكرة من الصباح؟ من عجب أن أحداً لم يعقب على هذه الحقيقة.

– لعله أصيب بأرق.

– هذا تفسير وجيه جداً.. أو رديء جداً.. إنه يبرر كل شيء، ولا يوضح شيئًا.. ولعله من الأفضل أن نضع هذا الطبيب البارع تحت رقابتنا.

– هل لديك ملاحظات أخرى على التحقيق؟

– إذا وجدت أحداً لا يقول الصدق فاحذره، وانطباعي عن التحقيق أن واحداً أو اثنين فقط تكلما بصراحة وصدق.

ـ أتعتقد ذلك حقًّا؟

ـ لقد كانت الآنسة "**هوارد**" دائمًا صادقة وصريحة..

فرمقني "**بوارو**" بنظرة غريبة.. وهمّ بأن يقول شيئًا ثم أمسك. قلت له:

ـ وهناك "**سنثيا**" .. إنها مثال للبراءة والوضوح..

ـ هذا صحيح.. ولكن الغريب أنها لم تسمع شيئًا على الرغم من أنها تقيم في الغرفة المجاورة للسيدة "**إنجلثروب**" .. في حين أن "**ماري كافندش**" التي تقيم في الجناح الآخر، قد سمعت صوت سقوط المائدة بوضوح تام.

ـ إن "**سنثيا**" في شرخ الشباب، وتنام نومًا عميقًا.

وفي هذه اللحظة طرق الباب الخارجي فاختطف "**بوارو**" قبعته، وفتل شاربيه وهبط السلم مسرعًا فتبعته، وكان رجلا "**اسكتلانديارد**" في انتظارنا فانطلقنا جميعًا في الطريق إلى قصر "**ستايلز**" . وكان قدوم رجلي الشرطة صدمة لأهل القصر، ولكنها صدمة فتحت عيونهم على خطورة الموقف. ودار حديث هامس بين "**بوارو**" و"**جاب**" ، طلب هذا الأخير على إثره إلى أهل القصر – فيما عدا الخدم – الاجتماع في قاعة الاستقبال، وأعتقد أن الجميع دهشوا حين وقف "**بوارو**" ، وليس أحد الشرطيين، واستهل الحديث. قال بعد أن أحنى قامته تحية للحاضرين، كما يفعل المحاضر حين يهم بإلقاء محاضرته:

ـ سيداتي وسادتي... لقد طلبت حضوركم جميعًا إلى هذا المكان لأمر معين يتصل بالسيد "**إنجلثروب**" .

وكان "**إنجلثروب**" قد جلس بمعزل عن الآخرين، فرفع رأسه ونظر إلى "**بوارو**" ، فقال هذا الأخير:

ـ إن ظلاً قاتمًا يخيم على هذا البيت.. وهو ظل جريمة القتل التي ذهبت ضحيتها السيدة "**إنجلثروب**" .

فهز "**إنجلثروب**" رأسه وهمس قائلا:

ـ مسكينة "**أميلي**" !!

فقال "بوارو" يحدثه:

– أنت مسكين أيضًا يا سيد "إنجلثروب"؛ لأن موقفك دقيق للغاية.

– ماذا تعني؟

– أعني أنك متهم بتسميم زوجتك.

– يا إلهي!! أنا أسمم "أميلي"؟!

– إنك لا تدرك كم كان موقفك في التحقيق مدمرًا لك، وأنت الآن تعرف خطورة الاتهام الموجه إليك. فهل ما زلت مصرًّا على الامتناع عن تحديد المكان الذي كنت فيه في الساعة السادسة من مساء يوم الاثنين؟

فتأوه "إنجلثروب" ودفن وجهه في كفيه. واقترب منه "بوارو" مهدئاً:

– تكلم.

فرفع "إنجلثروب" يديه عن وجهه ببطء، وهز رأسه، فصاح "بوارو":

– أترفض الكلام؟

– لا أظن أن هناك إنسانًا من الوحشية بحيث يتهمني بمثل ما ذكرت.

فقال "بوارو" بحزم:

– حسن.. سأتكلم نيابة عنك.

– كيف؟ إنك لا تعرف شيئًا.

فتحول "بوارو" إلينا وقال:

– سيداتي وسادتي.. اسمحوا لي بأن أؤكد لكم أن الشخص الذي ذهب إلى الصيدلية وابتاع "الأستركنين" في الساعة السادسة من مساء الاثنين لم يكن السيد "إنجلثروب"؛ لأن السيد "إنجلثروب" كان في الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم يرافق السيدة "ريكس" إلى بيتها في المزرعة المجاورة، وفي استطاعتي أن أقدم خمسة شهود على الأقل على استعداد لأن يقسموا بأنهم رأوهما في الساعة السادسة، وما بعدها على طول الطريق المؤدي إلى المزرعة والذي يبلغ زهاء ثلاثة كيلو مترات..

- 8 -

الشكوك

وساد صمت مشوب بالذهول، وكان المفتش "جاب" أقل الجميع دهشة، فقطع حبل الصمت بقوله:

– هل أنت مطمئن إلى أولئك الشهود يا "بوارو"؟

– إليك قائمة بأسمائهم وعناوينهم.. ولك أن تستجوبهم بنفسك ولكني أؤكد أنهم شهود شرفاء.

– أنا واثق بذلك، ويجب أن أشكرك؛ لأنك جنبتنا الوقوع في ورطة.

ثم التفت إلى "إنجلثروب" وقال:

– معذرة يا سيدي.. ولكن لماذا لم تقل ذلك في التحقيق؟

فقال "بوارو":

– سأقول لك لماذا. كانت هناك شائعة بأن...

فصاح "إنجلثروب" قائلاً بصوت متهدج:

– إنها شائعة خبيثة لا تنهض على أي أساس.

فقال "بوارو":

– لم يشأ السيد "إنجلثروب" إثارة أية فضيحة في هذا الوقت بالذات.. بينما جثة زوجته لم توار التراب بعد.

فقال "جاب" محدثًا "إنجلثروب":

– لو أنني مكانك يا سيدي لآثرت الفضيحة على الاعتقال، ولو استطاعت زوجتك المسكينة الكلام لقالت ذلك أيضًا، لقد كان اعتقالك أمرًا مؤكداً.. لولا تدخل السيد "بوارو".

فرد "إنجلثروب" قائلاً:

– إنك لا تعلم يا سيدي المفتش، كيف كنت هدفًا للتشهير والاضطهاد!

ونظر من ركن عينه إلى "**إيفيلين هوارد**" . فقال "**جاب**" :

– والآن يا سيدي.. أريد أن ألقي نظرة على غرفة زوجتك.. ومن ثم أتحدث قليلاً مع الخدم.. لا تشغل نفسك بي يا سيد "**إنجلثروب**" .. سيرشدني السيد "**بوارو**" إلى الطريق.

وغادر المفتشان الغرفة، وأشار إليّ "بوارو" بأن أتبعه، وما إن توسطنا درج السلم حتى انتحى بي جانبًا وقال في همس:

– أسرع إلى الجناح الأيمن وقف في الدهليز بجوار الباب الزجاجي الذي يتوسطه، ولا تتحرك من مكانك حتى ألحق بك..

وتركني ومضى مع الشرطيين، وأطعت تعليماته، ووقفت بجوار الباب الزجاجي وأنا أتساءل: ترى ما هدفه؟ وخطر لي خاطر! كانت جميع الغرف، باستثناء غرفة "**سنثيا**" ، تقع في الجناح الأيمن، فهل لذلك صلة بما يهدف إليه "**بوارو**" ؟ وهل أرادني "**بوارو**" أن أرصد حركات الرائحين والغادين؟ مهما يكن من أمر فقد لزمت مكاني، ومرّت الدقائق ولم أر أحداً ولم يحدث شيء.

وبعد نحو عشرين دقيقة، لحق بي "**بوارو**" وسألني:

– هل بارحت مكانك؟

– كلا، ولم يحدث شيء.

– آه! ولكن لعلك سمعت شيئًا؟

– كلا.

– أيمكن هذا؟ آه.. كم أنا حانق على نفسي!! إنني حريص دائما، ولكنني لا أدري ماذا دهاني!! أفلتت من يدي اليسرى حركة فسقطت المائدة المجاورة للفراش.

وبدا الضيق على وجهه، فقلت:

– وما أهمية ذلك؟ لا شك في أنك كنت منفعلاً بعد النصر الذي سجلته بتبرئة "**إنجلثروب**" . وبهذه المناسبة لابد أن الصلة بين "**إنجلثروب**" والسيدة

"ريكس" أوثق مما ظننا، وإلا ما أصر على الصمت على هذا النحو. ماذا ستفعل الآن؟ وأين ذهب الشرطيان؟

– لقد انطلقا لاستجواب الخدم.. ولكن "جاب" خيب رأيي فيه.. إنه يعمل بلا تخطيط.

وكنت أطل من النافذة، فهتفت:

– ها هو ذا الدكتور "باور شتاين".. إني أمقته بالغريزة.

– إنه رجل ماهر!!

– كم سررت حين رأيته ملطخًا بالوحل.

ورويت لـ"بوارو" قصة سقوطه في المستنقع.. وكيف كان منظره حين جاء إلى القصر في مساء الثلاثاء وهو أشبه بتمثال من طين؟!

فامسك "بوارو" بكتفي وصاح وهو يهزني بعنف:

– تقول إنه جاء إلى هنا في مساء الثلاثاء؟ لماذا لم تذكر لي ذلك من قبل؟ لماذا؟ لماذا؟

– لم أتصور أن لقدومه أية أهمية؟

– إن له كل الأهمية.. هل نسيت أنه جاء مرة أخرى عقب اكتشاف الحادث؟ إن ذلك يغير كل شيء..

وأرخى قبضته عن كتفي، وراح يذرع أرض المكان ويهمس:

– نعم، ذلك يغير كل شيء.

وتوقف عن السير فجأة، وصاح:

– يجب أن نعمل فوراً.. أين السيد "كافنديش"؟

وكان "چون" في قاعة التدخين، فذهب إليه "بوارو" وابتدره بقوله:

– لدي عمل في "تادمنستر" يا سيد "كافنديش"، فهل تعيرني سيارتك؟

– طبعًا.. هل تريدها الآن؟

– طبعًا.. إذا تفضلت.

وبعد دقائق، كانت السيارة تنهب بنا الأرض في الطريق إلى **"تادمنستر"** .

قلت له:

– هل لك أن تخبرني ما معنى كل هذا؟

– يجب أن تعمل فكرك يا صديقي.. أنت تعلم أن استبعاد **"إنجلثروب"** قد غيَّر الموقف. وأننا الآن نواجه مشكلة جديدة تمامًا.. إننا نعلم الآن أن هناك شخصاً واحداً لم يشتر السم، ولكن ماذا عن الآخرين؟ أي واحد من أهل القصر، باستثناء **"ماري كافنديش"** التي كانت تلعب التنس معك في ذلك الوقت، يحتمل أن يكون قد تنكر في زي **"إنجلثروب"** وابتاع السم؟ ثم هناك ما قرره **"إنجلثروب"** في التحقيق، من أنه ترك قدح القهوة في البهو.. وذلك أمر له مغزاه؛ إذ يجب علينا الآن أن نعرف من مرّ بالبهو أثناء وجود القدح هناك، ومن حمل القدح إلى السيدة **"إنجلثروب"**.. لقد فهمت من روايتك أن هناك شخصين فقط نستطيع الجزم بأنهما لم يقتربا من القدح، وهذان الشخصان هما **"ماري كافنديش"** والآنسة **"سنثيا"** .

– هذا صحيح.

– إنني اضطررت، لكي أبرئ **"إنجلثروب"** ، إلى أن أكشف عن أوراقي قبل الموعد المناسب. . كان القاتل مطمئناً إلى أن هناك متهماً آخر يحظى باهتمامنا، أما الآن فإنه سيضاعف حذره ويعمل بحرص شديد.. ولكن حدثني عن رأيك الشخصي يا **"هاستنجز"** ، هل تتهم أحداً بعينه؟

فترددت، الواقع أنه كانت هناك فكرة عبرت بذهني مراراً في ذلك الصباح، ولكني استبعدتها لغرابتها.. ولأنني لم أجد ما يؤيدها. قلت له:

– إن لدي شكًّا، ولكنه لا يرقى إلى مرتبة الاتهام. إنني أشك في **"إيفيلين هوارد"** وأعتقد أنها لم تقل كل ما تعلم.

– **"إيفيلين هوارد"** ؟!

– نعم، لا تسخر مني..

– ولماذا أسخر منك؟

– إنني لا أتمالك عن الإحساس بأننا أسقطناها من عداد المشتبه فيهم لا لشيء سوى أنها لم تكن في "ستايلز" وقت وقوع الجريمة.. في حين أن المدينة التي تعمل بها تقع على مسافة خمسة وعشرين كيلو مترًا فقط ويمكن للسيارة أن تقطعها في أقل من نصف ساعة.. فهل بوسعنا أن نقطع بأنها كانت بعيدة عن "**ستايلز**" في ليلة الجريمة؟

– نعم يا صديقي، فقد كان من أول أعمالي حين اضطلعت بهذه القضية، أنني اتصلت بالمستشفى الذي تعمل به، وتحققت أنها قضت نهار الثلاثاء وشطرًا كبيرًا من الليل في العمل به..

– الواقع.. أن نقمتها العجيبة على "**إنجلثروب**" هي ما حملني على الارتياب بها. إنها على استعداد لأن تفعل أي شيء للنكاية به، ولا يبعد أن تكون هي التي أحرقت الوصية الجديدة؛ ظنا منها أنها الوصية التي كتبتها السيدة "**إنجلثروب**" لصالحه..

– هل ترى أن نقمتها عليه غير طبيعية؟

– إنها من العنف بحيث أكاد أشك في صحة قواها العقلية..

– إنك على حق في أمر واحد، هو أننا يجب أن نرتاب في كل إنسان حتى تثبت لنا براءته.. ولكن ما الأسباب التي تمنع الآنسة "**هوارد**" نفسها من تسميم السيدة "**إنجلثروب**"؟

– إنها كانت تتفانى في الإخلاص لها..

– أراك تجادل بمنطق الأطفال.. لأنه إذا كان في استطاعة الآنسة "**هوارد**" أن تقتل السيدة "**إنجلثروب**"، فإنها تستطيع كذلك أن تتظاهر بالإخلاص والولاء لها.. كلا، كلا يا صديقي! يجب أن تبحث عن سبب آخر.. والواقع أن هناك سببًا جوهريا..

– ما هو؟

– هو أن موت السيدة "**إنجلثروب**" لا يفيد الآنسة "**هوارد**" بأي حال.

– ألا يحتمل أن تكون السيدة "**إنجلثروب**" قد كتبت وصية لصالحها؟

فهز "**بوارو**" رأسه علامة النفي، فقلت:

– ولكنك ألحت إلى ذلك ذات مرة..

– إنني فعلت ذلك لسبب، كنت أعني وقتئذ شخصًا لم أشأ ذكر اسمه.. وكان مركز ذلك الشخص يماثل مركز الآنسة "**هوارد**" تمامًا..

– وتلك الوصية الجديدة التي كتبتها السيدة "**إنجلثروب**" في يوم وفاتها؟

– كلا يا صديقي.. إن لدي فكرة خاصة عن هذه الوصية، ولكنني أستطيع أن أؤكد لك أنها لم تكن لصالح الآنسة "**هوارد**"..

وكنا قد وصلنا إلى "**تادمنستر**"، فأوقف "**بوارو**" السيارة أمام معمل التحاليل، وغاب داخل المعمل بضع دقائق، وقال عندما عاد:

– لقد انتهيت من مهمتي.

– ماذا فعلت؟

– تركت شيئًا للتحليل..

– ماذا تركت؟

– قطرة من الكاكاو من إناء كان في غرفة نوم السيدة "**إنجلثروب**"..

– ولكن الدكتور "**باور شتاين**" قام فعلاً بتحليل الكاكاو، ثم إنك أنت نفسك قد سخرت من فكرة وجود "**الأستركنين**" في الكاكاو..

– أعلم كل ذلك.. ولكنني أريد تحليله مرة أخرى.

وعبثًا حاولت استدراجه إلى مزيد من الإيضاح. وشيعت جنازة السيدة "**إنجلثروب**" في اليوم التالي. وفي اليوم الذي يليه.. كنت في طريقي إلى قاعة الطعام لتناول الفطور فانتحى بي "**چون**" جانبًا، وقال لي إن "**ألفريد إنجلثروب**" قرر مغادرة القصر في ذلك اليوم، وإنه سيقيم في حانة القرية ريثما يضع خطة للمستقبل..

واستطرد قائلاً:

– لقد اغتبطنا لرحيله، ولكننا لا نتمالك عن الشعور بوخز الضمير لأننا أسأنا معاملته.. صحيح أنه كان لنا كل العذر لأن أصابع الاتهام كانت تشير إليه، ولكن ذلك لا ينفي أننا كنا على خطإ وأننا يجب الآن أن نكفر عن خطئنا، وذلك ما لا سبيل إليه.. لأننا لا نحبه ولن نحبه أبداً.. على أنه كان من الكياسة بحيث قرر من تلقاء نفسه أن يرحل. ومن حسن الحظ أن هذا القصر لم يكن ملكًا لأمي لكي توصي به له.. إنني لا أطيق أن أتصور هذا الرجل متربعًا فيه..

فسألته:

– هل سيكون في استطاعتك الحفاظ عليه والاضطلاع بنفقاته؟

– نعم، نعم. هناك ضريبة الميراث بطبيعة الحال. ولكني سأرث نصف ثروة أمي، وسيقيم "**لورنس**" معنا، وسيرث النصف الآخر.. سنعاني بعض الضيق في البداية، لأنني – كما قلت لك –مثقل بالديون.. ولكني أعتقد أن الدائنين سيوافقون الآن على الانتظار..

وقد كانت جلستنا حول مائدة الإفطار في ذلك الصباح من أبهج الجلسات منذ يوم المأساة.. كانت البسمات تعلو وجوه الجميع فيما عدا "**لورنس**"، الذي ظل على وجومه وكآبته.. ولكن الجو بصفة عامة كان جو مرح، وتطلع إلى مستقبل جديد مليء بالأمل والسعادة.

وكانت الحرب قد هدأت مؤقتًا، فنشطت الصحف لتغطية الأنباء المحلية، وامتلأت أعمدتها بتفصيلات المأساة، وصور أفراد الأسرة حتى أصبح حادث "**ستايلز**" الغامض على كل لسان.. وظل الصحفيون وقتًا طويلاً يحاصرون القصر ويتعقبون أفراد الأسرة.. ويلتقطون الأنباء من الخدم وأهل القرية. كذلك استباح المفتش "**جاب**" وزميله القصر، فهما يدخلان ويخرجان، ويفتشان ويسألان.. ولكن بلا نتيجة.. حتى أصبح مرجحًا أن تحفظ القضية. وتقيد الجريمة ضد مجهول..

*****

وذات يوم.. سألتني "دوركاس" في همس:

– هل ستقابل صديقك البلچيكي اليوم يا سيدي؟

– نعم، لماذا؟

– لعلك تذكر أنه ألح مرة بالسؤال عن ثوب أخضر..

– نعم، هل وجدته؟

– كلا، ولكنني تذكرت أن هناك صندوقًا في غرفة بالسطح. يحتوي على ملابس كثيرة، كانوا يستخدمونها في الحفلات التنكرية.. وقد يجد صديقك في هذا الصندوق ضالته..

– شكرًا يا "دوركاس".. أعدك بأن أخبره..

وقصدت إلى القرية لأخبر "بوارو".. ولكنني قابلته في الطريق فنقلت إليه رسالة "دوركاس"، وعدنا أدراجنا إلى القصر، وتسللنا إلى الغرفة التي ذكرتها "دوركاس"، ووجدنا الصندوق فعلاً.. وشرع "بوارو" يخرج محتوياته ويلقيها على أرض الغرفة..

كانت كلها ثيابًا للرجال والنساء. بعضها من قطع من قماش أخضر.. ولكن "بوارو" هز رأسه ولم يعرها اهتمامًا. ولاحظت أنه يعمل بفتور كمن لا يتوقع أن يسفر بحثه عن نتيجة. بيد أنه ما لبث أن هتف فجأة:

– انظر.

وأخرج من قاع الصندوق لحية سوداء فحصها باهتمام بالغ.. وقال:

– إنها جديدة..

وبعد تردد قصير، أعادها إلى الصندوق، ووضع الملابس فوقها كما كانت قبلاً، وعدنا إلى الطابق الأرضي، وهناك قال:

– يجب أن أتحدث إلى "دوركاس".. فانتظرني..

وانقضت بضع دقائق قبل أن يلحق بي.. قال:

– إنها لا تعرف شيئًا عن اللحية السوداء.

– هل تعتقد أنها اللحية التي استخدمها الشخص الذي ابتاع "**الأستركنين**"؟

– نعم، ألم تلاحظ أنها قُصَّت حديثًا لكي تشبه لحية "**إنجلثروب**"؟ إن القضية أعقد مما كنا نتصور يا "**هاستنجز**".

– ولكن من الذي وضعها في الصندوق؟

– وضعها شخص ذكي في المكان الوحيد الذي لا يراها فيه أحد.. نعم.. إنه ذكي.. ولكن يجب أن نكون أذكى منه.. يجب أن نكون أذكى منه بحيث لا ندعه يشعر بأننا على أي قدر من الذكاء. آه! ها هي السيدة "**كافنديش**" الفاتنة..

ورفع قبعته وأحنى هامته تحية لـ"**ماري كافنديش**" واستطرد قائلا:

– معذرة يا سيدتي.. هل تسمحين لي بأن ألقي عليك سؤالا أو سؤالين؟

– عليَّ؟! بكل سرور..

– أريد أن أسألك عن الباب الموصل بين غرفة الآنسة "**سنثيا**" وغرفة السيدة "**إنجلثروب**".. هل قلت إن هذا الباب كان موصداً بالمزلاج؟

– نعم، قلت ذلك في التحقيق..

– هل أنت واثقة بأنه كان موصداً بالمزلاج وليس مغلقًا بالقفل فحسب؟

– آه! فهمت ما تعني.. الحق أنني لا أدري.. كان الباب مغلقًا. ولم أستطع فتحه.. ذلك ما أردت أن أقوله، ولكني أعتقد أن كل الأبواب وجدت موصدة من الداخل..

– ولكنك أنت شخصيًا.. ألم تلاحظي عندما دخلت ما إذا كان الباب موصداً بالمزلاج أم لا؟

– أعتقد أنه كان موصداً..

– هل رأيته؟

– كلا.. إنني لم أنظر إليه..

وكان "**لورنس**" قد غادر قاعة التدخين منذ لحظة، وسمع الشطر الأخير من

الحديث، فقال بحدة:

– أنا نظرت إليه.. وكان موصداً بالمزلاج..

فقال "بوارو" بشيء من خيبة الأمل:

– آه! هذا يحسم الأمر.. شكراً لك يا سيدتي العزيزة.. شكراً لك يا سيد "لورنس".

ثم طلب إليَّ أن أرافقه إلى البيت.. وساد الصمت بيننا وقتاً طويلاً إلى أن قال فجأة:

– إنني لم أر الآنسة "سنثيا"، فأين ذهبت؟

– إنها في المستشفى.. وقد استأنفت عملها اليوم.

– إنها فتاة نشيطة.. وجميلة.. ترى هل توافق على أن أزور صيدليتها؟

– أنا واثق بأنها سترحب بك..

– هل تذهب إلى الصيدلية كل يوم؟

– كل يوم عدا أيام الأربعاء.

– أظن أن لديها كل أنواع السموم؟

– إنها أرتني ما عندها من العقاقير السامة.. وكلها في خزانة واحدة مغلقة..

– هل الخزانة قريبة من النافذة؟

– كلا.. إنها في الداخل، لماذا؟

فهز كتفيه وأجاب:

– ليس هذا سوى سؤال.. ألا تدخل؟

وكنا قد وصلنا إلى البيت، فأجبته:

– كلا.. أظن أنه يحسن بي أن أذهب.. سأقوم بجولة في الغابة قبل أن أعود إلى القصر.

كانت الغابة حول قصر "ستايلز" من أجمل الغابات، وقد أمتعني السير فوق

أعشابها الرطبة بعد المسيرة الطويلة تحت الشمس المحرقة.. لم تكن هناك نسمة هواء، ولا زقزقة عصفور.. فاستلقيت فوق الأعشاب.. ونسيت الجريمة.. و"**بوارو**"، وتثاءبت وغلبني النعاس.. فنمت.. ورأيت فيما يرى النائم أن "**لورنس**" أهوى بمضرب التنس على رأس "**إنجلثروب**" فقتله.. وأن "**چون**" غضب لذلك غضبًا شديداً، وصاح به: «كلا.. إنني لا أسمح بهذا»! وهنا استيقظت، ولست أدري كم انقضى من الوقت منذ أغمضت عيني حتى فتحتهما، ولكنني أحسست على الفور بأنني في موقف شديد الحرج، فقد كان "**چون**" و"**ماري كافنديش**" يقفان وجهًا لوجه على بعد بضع خطوات مني وهما يتشاجران.. وكان من الواضح أنهما لا يعلمان بوجودي على مقربة منهما.. لأنني قبل أن أتحرك أو أنطق بكلمة.. ردد "**چون**" الكلمات نفسها التي أيقظتني من نومي.. قال:

– كلا.. إنني لا أسمح بهذا.

فأجابت "**ماري**" بصوت بارد قاطع كالفولاذ:

– وهل من حقك أن تنتقد سلوكي؟

– سوف يكون اسمك مضغة في أفواه أهل القرية.. كيف تتسكعين هنا مع هذا الرجل ولم يمض يومان على دفن أمي؟

– ألا يهمك سوى ثرثرة الناس في القرية؟

– لقد ضقت ذرعًا بهذا الرجل وبطوافه حولك.. ثم لا تنسي أنه ليس سوى أفاق جوال..

– إنه ليس أسوأ منك على كل حال.

– "**ماري**"!!

وكان في صوته لوم واستعطاف، ولكنها أجابت بالصلابة والبرودة نفسها:

– نعم..

– هل أفهم أنك مصممة على الاستمرار في مقابلة "**باور شتاين**" رغما عن

إرادتي؟

– سأقابله متى شئت..

– أتتحدينني؟

– كلا، ولكني لا اعترف بحقك في نقد سلوكي... أليست لك صداقات لا أقرّها؟

فتراجع خطوة إلى الوراء، وصاح بصوت متهدج، وقد غاض الدم من وجهه:

– ماذا تعنين؟

– أنت تعرف جيِّداً ماذا اعني؟ وتعلم أنه ليس من حقك أن تعترض على اختياري لأصدقائي..

فقال وهو ينظر إليها متوسلاً:

– ليس من حقي؟ أليس لي حق يا "ماري"؟

فتراخت عضلات وجهها، وخيِّل إليّ أنها ستلقي بنفسها في أحضانه، ولكنها عادت فتصلبت بغتة وأجابت وشرر الغضب يتطاير من عينيها:

– نعم، لا حق لك..

وابتعدت بخطى متزنة..

ولكنه وثب في أثرها وأمسك بساعدها، وقال بصوت هادئ:

– "ماري".. اتحبين هذا الرجل؟

فترددت قليلاً، ثم خلّصت ساعدها من قبضة يده في هدوء.. وقالت وعلى شفتيها ابتسامة غامضة:

– ربما..

وابتعدت مسرعة وتركته جامداً في مكانه وكأنه تمثال.

*****

وعندما عدت إلى القصر، وجدت القوم حول مائدة الشاي تحت شجرة الجميز،

وكانت "**سنثيا**" قد عادت من المستشفى فجلستُ على مقعد بجوارها، وحدثتها عن رغبة "**بوارو**" في زيارة الصيدلية فرحبت به، وقالت:

– حبذا لو جاء في وقت تناول الشاي.. يجب أن أتفق معه على موعد الزيارة.. إنه رجل لطيف دائمًا، وغريب الأطوار أحيانًا.

وصمتت قليلاً، ثم نظرت بطرف عينها نحو "**ماري**"، وقالت تحدثني بصوت خافت:

– يا سيد "**هاستنجز**"!!

– نعم..

– أريد أن أتحدث إليك على انفراد بعد تناول الشاي..

وأدركت من نظرتها إلى "**ماري كافنديش**" أن العلاقة بينهما ليست كلها مودة وصفاء..

وكان "**چون**" قد دخل البيت لأمر ما، وعاد وهو مكفهر الوجه مقطب الجبين، وقال:

– ماذا يريد هذان الشرطيان؟ لقد فتشا كل غرفة وقلبا كل شيء رأسًا على عقب..

فقال "**لورنس**":

– إنهما يبديان نشاطًا.. ويتظاهران بأنهما يفعلان شيئًا لكي تشيد الصحف بما يبذلان من جهد..

أما "**ماري**" فلزمت الصمت ولم تعقب بشيء. وبعد الشاي دعوت "**سنثيا**" للنزهة في الغابة، وما إن ابتعدنا وحجبتنا الأشجار عن العيون حتى قلت لأحثها على الكلام:

– حسن يا "**سنثيا**"..

فجلست على العشب وخلعت قبعتها، فصبغت أشعة الشمس شعرها بلون الذهب.. ولاحظت – ربما لأول مرة – أنها أجمل كثيرًا من "**ماري كافنديش**".

قالت:

– لقد أردت أن أستشيرك فيما ينبغي أن أفعله..

– فيما ينبغي أن تفعليه؟!

– نعم، فلطالما قالت لي العمة "أميلي" إنها سوف تذكرني في وصيتها، ولكن يبدو أنها نسيت، أو أنها لم تتوقع الموت.. والنتيجة أنني أجد نفسي الآن عالة على أصحاب القصر.. ولا أعلم ماذا ينبغي أن أفعل، فهل ترى أن أرحل فوراً؟

– كلا طبعًا.. أنا واثق بأن أحداً لا يريد رحيلك..

فترددت قليلا، ثم قالت:

– السيدة "**كافنديش**" تريد رحيلي.. إنها تكرهني..

– تكرهك؟

– نعم.. إنها لا تطيقني.. وهو كذلك..

– على العكس يا "**سنثيا**".. أنا أعلم أن "**چون**" يحبك..

– لست أعني "**چون**".. وإنما أعني.. "**لورنس**".. أنا لا أعبأ بكراهية "**لورنس**" أو حبه، ولكن الإنسان لا يسعه إلا الإحساس بالحرج حين يجد أنه غير محبوب..

– ولكنهم يحبونك يا "**سنثيا**".. أنا واثق بذلك.. إن "**چون**" يحبك.. وكذلك "**إيفيلين**".. و..

– نعم.. إن "**چون**" يحبني.. و"**إيفيلين**" لا تؤذي ذبابة على الرغم من خشونتها.. ولكن "**لورنس**" لا يتحدث إليّ إلا كارهًا.. و"**ماري**" لا تتنازل بالنظر إليّ.. إنها تتوسل إلى "**إيفيلين**" لكي تبقى.. ولكنها لا تريدني.. ولست أدري ماذا أفعل؟

وانفجرت باكية، فغمرني شعور بالإشفاق عليها والرثاء لها.. وتناولت يدها بين يدي، وقلت لها فجأة:

– أتتزوجينني يا "سنثيا" ..؟

ويبدو أنني وفقت للعلاج الناجع لدموعها، فقد اعتدلت جالسة على الفور. وسحبت يدها من يدي، وهتفت قائلة:

– لا تكن أبله!

– أنا لست أبله! أنا أطلب إليك أن تشرفيني بأن تكوني زوجتي..

ولشد ما كانت دهشتي حين انفجرت ضاحكة، وقالت:

– هذا جميل منك، ولكنك تعلم جيداً أنك لا تريد الزواج بي..

– بل أريد.. إنني أملك..

فقاطعتني:

– دعنا مما تملك، انت لا تريد هذا الزواج حقًّا، ولا أنا أريده.. ولكنني أرجو لك التوفيق مع امرأة أخرى.. إلى اللقاء. إنك سريت عني..

واختطفت قبعتها.. وتوارت بين الأشجار..

*****

وهكذا لم يكن لقاؤنا موفَّقا على الإطلاق.. وخطر لي فجأة أن أذهب إلى القرية، لأستطلع أنباء الدكتور "باور شتاين".. ألم يقل "بوارو" إننا يجب أن نضعه تحت رقابتنا؟ وطرقت باب الشقة التي كنت أعلم أنه يقيم فيها.. ففتحت الباب سيدة عجوز. قلت لها:

– طاب يومك.. هل أستطيع مقابلة الدكتور "باور شتاين"؟

فحملقت إلى وجهي، وقالت:

– ألا تعلم؟

– ماذا؟!

– لقد قبض عليه البوليس..

فلم أنتظر المزيد.. وانطلقت أعدو في الطريق إلى بيت "بوارو".

- 9 -

اعتقال

لشد ما ضايقني الا أجد "بوارو" في بيته.. قال لي زميله المواطن البلچيكي الذي فتح الباب إنه يعتقد أنه ذهب إلى "لندن"..

ترى لماذا اتخذ هذا القرار الفجائي؟ ولماذا ذهب إلى "لندن"؟ وعدت أدراجي إلى قصر "ستايلز".. وقد اتجه تفكيري في الحال إلى "ماري كافنديش".. إن اعتقال "باور شتاين" سيكون صدمة قاسية لها. ترى، هل كانت ضالعة معه في الجريمة؟ ولكن ماذا يجب أن أفعل الآن؟ هل أذيع في القصر نبأ "باور شتاين" أم أنتظر حتى تذيعه الصحف كلها غداً؟ ليت "بوارو" كان موجوداً؛ لكي يرشدني إلى ما ينبغي عمله!! وأخيراً قررت التزام الصمت.. ولكني دهشت في اليوم التالي حين لم أجد في الصحف أية إشارة إلى اعتقال "باور شتاين".. كانت هناك بضعة سطور عن جريمة "ستايلز" الغامضة.. ولكن لا كلمة عن "باور شتاين" وعلاقته بالجريمة.. وتطرق إلى ذهني أن المفتش "جاب" ربما تعمد حجب الخبر عن الصحف، تمهيداً لاعتقالات أخرى.

وبعد الإفطار قررت أن أذهب إلى القرية؛ لأرى ما إذا كان "بوارو" قد عاد من رحلته.. وقبل أن أضع فكرتي موضع التنفيذ رأيت وجهه من النافذة، وسمعت صوته يقول:

– طاب يومك أيها الصديق.

فهرولت إليه، وهتفت وأنا أشد على يديه:

– لم أكن قط مشوقًا إلى لقاء إنسان، كما كنت مشوقًا إلى لقائك. أصغ إليّ.. إنني لم أذكر النبأ لأحد.. أفلم أحسن صنعًا؟

– أي نبأ أيها الصديق؟

– نبأ إلقاء القبض على الدكتور "**باور شتاين**" .

– هل ألقي القبض عليه؟

– ألم تكن تعلم؟!

– كلا، ولكن النبأ لا يدهشني.. فالمسافة بيننا هنا وبين الشاطئ لا تزيد على خمسة كيلو مترات.

– الشاطئ؟! وما علاقة الشاطئ باعتقال "**باور شتاين**" ؟

– لقد اعتقل بسبب الجريمة..

– بسبب الجريمة؟! من قال لك ذلك أيها الصديق؟ لقد قبض عليه بتهمة التجسس.

– التجسس؟!

– نعم..

– ألم يقبض عليه لتسميمه السيدة "**إنجلثروب**" ؟

– كلا! اللهم إلا إذا كان "**جاب**" قد فقد عقله.

– هل تريد أن تقول إن الرجل جاسوس؟

– ألم تفطن إلى ذلك؟

– نعم.. لم أفطن.

– ألم تر شيئًا من الغرابة في أن يأتي أحد كبار الإخصائيين ليدفن نفسه في هذه القرية الصغيرة، ويتجول في كل ساعة من الليل والنهار في ثياب كاملة؟

– الحق أنني لم أفكر في ذلك.

– إن الأمر واضح.

– يبدو أنني شديد الغباء. فإني لا أرى أية صلة بين قرب الشاطئ ومصرع "**إنجلثروب**" .

– لا توجد أية صلة طبعًا.. إننا نتحدث عن اعتقال "**باور شتاين**" .

– إنه ألماني المولد، وقد تجنس بالجنسية الإنجليزية منذ خمسة عشر عامًا، وزاول

العمل في "**لندن**" سنوات كثيرة حتى لم يعد هناك من يظن أنه ليس إنجليزيًّا.. إنه رجل ماهر.. أفاق طبعًا..

– ويل للوغد!! هذا إذن هو الرجل الذي تخرج معه "**ماري كافنديش**" للنزهة في كل مكان!!

– لا شك في أنها كانت ذات فائدة له، فإن اهتمام الناس بمغامرتهما قد صرفهم عن متابعة تحركاته والارتياب في حقيقته...

– هل تعتقد إذن أنه لا يحبها؟

– لا أستطيع أن أقطع بذلك.. هل تريد رأيي الخاص يا "**هاستنجز**"؟

– نعم..

– رأيي الخاص أن السيدة "**كافنديش**" لا تحبه ولن تحبه.

لم أستطع إخفاء سروري.. وسألته:

– هل أنت واثق بذلك؟

– كل الوثوق، وسأقول لك لماذا.

– لماذا؟!

– لأنها تحب شخصًا آخر أيها الصديق..

فشعرت بموجة دافئة تغمر قلبي، وقبل أن أنطق بكلمة أخرى، فتح الباب فجأة، ودخلت "**إيفيلين هوارد**" وبعد أن أجالت الطرف حولها، للتأكد من أنه لا يوجد في الغرفة سوانا، أخرجت ورقة كبيرة سمراء من النوع الذي تحزم به الطرود والبضائع، فقدمتها إلى "**بوارو**" وهي تقول:

– وجدتها فوق دولاب.

وانصرفت بسرعة كما دخلت.. وبسط "**بوارو**" الورقة أمامه.. كانت عليها بطاقة تحمل اسم محلات "**باركسون**" لتوريد الملابس المسرحية بـ"**لندن**"، وتحتها عنوان: السيد "**لورنس كافنديش**" – قصر "**ستايلز**".. سألت "**بوارو**":

– هل لهذه الورقة شيء من الأهمية؟

– ربما.. إنها تؤيد فكرة خطرت لي.. وكنت أتوقع وجودها فطلبت إلى الآنسة "**هوارد**" ان تبحث عنها..

وطوى الورقة بعناية ووضعها في جيبه.

سألته:

– ماذا عن الجريمة يا "**بوارو**"؟ هل توصلت إلى نتيجة؟

– نعم، وأعتقد أنني عرفت كيف ارتكبت..

– أحقًّا؟

– نعم، ولكن من سوء الحظ أنني لا أملك الدليل.. آه! ها هي "**دوركاس**" الطيبة..

وناداها:

– يا آنسة "**دوركاس**"..

كان قد رآها من النافذة، فاقبلت تلبية لندائه.. قال لها:

– يا عزيزتي "**دوركاس**".. لقد خطرت لي فكرة إذا ثبتت صحتها كان ذلك نصرًا عظيمًا.. أخبريني.. هل حدث يوم الاثنين، أي اليوم السابق للمأساة، أن أصيب جرس سيدتك بتلف؟

فنظرت إليه الوصيفة في دهشة، وأجابت:

– يا إلهي!! كيف عرفت ذلك.. نعم.. لقد تعطل الجرس، ويبدو أن فأرًا قرض الأسلاك.. وجاء رجل في صباح الثلاثاء فأصلحه..

فنظر "**بوارو**" وصاح مغتبطًا:

– أرأيت؟ الأدلة كلها هنا، ولا ضرورة للبحث عنها في مكان آخر.. يكفي أن تدع عقلك يعمل.. إنني في منتهى السعادة أيها الصديق..

وانطلق يعدو فوق العشب كمن به مس، وسمعت صوتًا ورائي يقول:

– ماذا أصاب صديقك؟

فنظرت ، ورأيت "**ماري كافنديش**" تبتسم..

أجبت:

- الحقيقة أنني لا أعلم.. إنه ألقى سؤالا على "**دوركاس**"، وسمع الجواب.. وانطلق يعدو كما رأيت..

فضحكت.. كان واضحًا أنها في حالة نفسية طيبة.. فانتهزت الفرصة لأحدثها عن "**سنثيا**" .. حدثتها عن موقف الفتاة ومشاعرها، ومخاوفها، فأصغت إليَّ في أناة، وأخيراً قالت:

- إنك محام بارع يا سيد "**هاستنجز**".. ولكنك أتعبت نفسك عبثًا، قل لـ"**سنثيا**" إنه ليس هناك ما تخشاه مني.. لأنني سأرحل..

- سترحلين؟!

- نعم، لن أقيم في هذا القصر..

- هل قررت أنت و"**چون**" الإقامة في مكان آخر؟

- يستطيع "**چون**" أن يبقى.. أما أنا فسأرحل..

- هل ستتركينه؟

- نعم..

- ولكن لماذا؟

فصمتت وقتًا طويلاً قبل أن تجيب:

- ربما لأنني أنشد الحرية..

ثم أردفت بعد قليل:

- إنك لا تعرف كم أكره هذا القصر! لقد كان لي بمثابة السجن..

- إنني أفهم شعورك، ولكن يجب الا تقدمي على عمل طائش..

وحينئذ نطقت بعبارة ندمت عليها فيما بعد أشد الندم.. قلت:

- هل تعلمين أن الدكتور "**باور شتاين**" قد اعتقل؟

فتحولت على الفور إلى تمثال من الجليد، وقالت في هدوء:

- لقد كان "**چون**" من الكرم بحيث أنبأني بذلك صباح اليوم..

– وما رأيك؟

– فيم؟

– في هذا الاعتقال..

– وهل يجب أن يكون لي رأي فيه؟ إنه جاسوس ألماني، وسيلقى جزاء الجواسيس..

قالت ذلك وتركتني ومضت..

*****

ولم يظهر "**بوارو**" في صباح اليوم التالي، وكذلك لم أر أثرًا للمفتش "**جاب**" وزميله.

وحوالي الظهر، ظهر أمر جديد.. كنا قد بحثنا عبثًا عن مصير رابع خطاب كتبته السيدة "**إنجلثروب**" ليلة مصرعها. وكنا نرجو أن يرشدنا هذا الخطاب إلى أحد أسرار الجريمة... ولكن بريد الظهيرة حمل إلينا رسالة بددت هذا الرجاء. كانت الرسالة من متجر كبير يقوم بنشر القطع الموسيقية وفيه يقول: إنه تسلم الشيك الذي أرسلته السيدة "**إنجلثروب**"، وإنه يأسف لعدم وجود بعض القطع.. ويرجوها أن تختار قطعًا سواها. وقبل موعد تناول الشاي، ذهبت إلى بيت "**بوارو**"... ولكني لم أجده، وسألت خادمه:

– هل ذهب إلى "**لندن**" مرة أخرى!

– كلا يا سيدي. إنه استقل القطار إلى "**تادمنستر**" لزيارة صيدلية إحدى الفتيات.

– تبًا له! لقد قلت له إن الأربعاء هو يوم إجازتها.. هل لك أن تطلب إليه مقابلتي غدًا صباحًا؟

– حسن يا سيدي.

*****

وانتظرته في صباح اليوم التالي، ولكنه لم يحضر. وبعد الظهر، قررت أن أذهب إليه مرة أخرى، وفي هذه المرة وجدته. كان جالساً إلى مكتبه ورأسه بين كفيه، فوثب واقفاً حينما رآني، ولاحظت أنه مكفهر الوجه، فسألته:

– هل أنت مريض؟

– كلا، لست مريضاً، ولكني بسبيل اتخاذ قرار خطير.

– عن المجرم؟ وهل ستقبض عليه أم لا؟

– أعني هل أتكلم أم لا أتكلم.

– هل أنت جاد؟

– لم أكن قط أكثر جدية من الآن... إن الأمر يتعلق بأهم شيء في الوجود.

– وهو؟

– سعادة امرأة.

لم أفهم شيئًا، واستطرد "بوارو" قائلاً:

– لقد حان الوقت لكي أتخذ قرارا، وهأنذا لا أعرف ماذا أفعل.

وادركت انه لا يريد الإيضاح، فانتقلت إلى الحديث عن "سنثيا"، وعتبت عليه أنه نسي ما قلته له عن يوم إجازتها، فقال:

– الواقع أنني نسيت، ولكن زميلتها كانت فتاة لطيفة فتداركت الأمر وعوضتني عن خيبة أملي.

وصمت لحظة، ثم سأل فجأة:

– هل تعرف شيئًا عن بصمات الأصابع؟

– كل ما أعرفه أنه لا توجد بصمتان متشابهتان.

ففتح درج مكتبه وأخرج عدداً من الصور الفوتوغرافية ووضعها أمامي، وقال:

– إنني رقمتها (1) و (2) و (3) فهل تستطيع أن تبدي رأيًا فيها؟

ففحصت الصور وأجبت:

– الصور جميعها مكبرة جداً، والصورة رقم (1) هي بصمة أصابع رجل، ورقم (2) بصمة أصابع سيدة، ولعلك تلاحظ أنها صغيرة ومختلفة تماماً، أما الصورة رقم (3) فيبدو أنها لمجموعة مختلفة من البصمات، ولكن بصمات الصورة رقم (1) واضحة فيها.

– واضحة فوق البصمات الأخرى؟!

– نعم.

فجمع الصور وأعادها إلى درج المكتب، فقلت له:

– إنك لم توضح معنى هذه الصور كما هي العادة؟

– على العكس.. إن الصورة رقم (1) هي صورة بصمة السيد "**لورنس**" والصورة رقم (2) هي صورة بصمة الآنسة "**سنثيا**" .. والبصمتان لا أهمية لهما، ولكني حصلت عليهما فقط لمقارنتهما ببصمات الصورة رقم (3).. إن الصورة رقم (3) معقدة إلى حدٍّ ما كما رأيت.

– إذن؟

– أصغ إليّ يا صديقي.. إن الصورة رقم (3) هي صورة مكبرة جداً لسطح قنينة صغيرة كانت على الرف الأخير من خزانة السموم في صيدلية مستشفى الصليب الأحمر في "**تادمنستر**".

– يا إلهي!! ولكن كيف وجدت بصمة "**لورنس**" عليها؟ إنه لم يقترب من خزانة السموم يوم ذهبنا لزيارة "**سنثيا**" .

– بل اقترب.

– مستحيل.. إننا كنا معاً طول الوقت.

– كلا يا صديقي، لقد مرت لحظة لم تكونوا فيها معاً.. وإلا ما طلبت إليه "**سنثيا**" أن يلحق بكم في الشرفة.

– آه! لقد نسيت ذلك، ولكنه لم يتخلف أكثر من دقيقة.

– إنها كافية.

– كافية لماذا؟!

فقال "بوارو" وعلى شفتيه ابتسامة غامضة:

– كافية لأن يشبع رجل درس الطب فضوله الطبيعي.

والتقت عيوننا.. سألته:

– ماذا كان في تلك القنينة الصغيرة يا "بوارو"؟

– كان بها مادة "هيدروكلوريد الأستركنين".. وهي مادة لا تستخدم في العقاقير الطبية إلا نادرًا؛ ولهذا ظلت البصمات واضحة على القنينة.

– وكيف حصلت على صورتها؟

– أسقطت قبعتي من الشرفة، ولما لم يكن مسموحًا للزائرين بالتواجد في فناء المستشفى في ذلك الوقت، فقد تكفلت صديقة "سنثيا" اللطيفة عناء إحضار القبعة.

– هل كنت تعلم أنك ستجد هذه البصمات؟

– كلا، ولكني أدركت من روايتك أنه من المحتمل أن يعبث السيد "لورنس" في خزائن العقاقير السامة. وكان لابد لي أن أؤكد هذا الاحتمال أو أستبعده.

– "بوارو".. إن مرحك لا يخدعني.. وهذا الاكتشاف له أهمية عظمى..

– لا أعلم، ولكن هناك ظاهرة لفتت نظري، ولا شك في أنها لفتت نظرك أيضًا.

– وهي؟

– وهي كثرة "الأستركنين" في هذه القضية.. "الأستركنين" في دواء السيدة "إنجلثروب"، و"الأستركنين" الذي باعه "ميس". وهذا "الأستركنين" الذي تداولته يد أحد سكان القصر... وذلك محير... وأنا لا أحب الحيرة.

وقبل أن أتمكن من الإجابة، فتح الباب وأطل أحد البلچيكيين برأسه، وقال:

– بالباب سيدة تسأل عن السيد "**هاستنجز**".

– سيدة؟!

ووثبت من مكاني وهبطت السلم وتبعني "**بوارو**" عن كثب، ووجدنا "**ماري كافنديش**" تقف بالباب.

قالت تحدثني:

– كنت في زيارة سيدة عجوز في القرية، وكانت "**إيفيلين**" قد قالت لي إنك عند السيد "**بوارو**"، فخطر لي أن أصطحبك لنعود معا.

فقال "**بوارو**":

– وا أسفاه يا سيدتي! ظننت أنك جئت لتشرفيني بزيارتك.

وابتسمت، وأجابت:

– سأزورك يومًا إذا دعوتني.

– اتفقنا إذن يا سيدتي! وإذا وجدت يومًا أنك بحاجة إلى أب روحي تعترفين له... فتذكري أن الأب "**بوارو**" في خدمتك دائمًا.

فنظرت إليه طويلاً، وكأنها تحاول أن تقرأ في وجهه معنى كلامه، ثم دارت على عقبيها، فجأة، وقالت:

– ألا تأتي معنا يا سيد "**بوارو**"؟

– سيسعدني ذلك يا سيدتي.

*****

وطوال الطريق إلى "**ستايلز**"، لم تكف "**ماري**" عن الكلام بحدة، وبطريقة تدل على توتر الأعصاب... وخيّل إليّ أنها دائمًا تتجنب نظرات "**بوارو**". وكان الحر قد انحسر فجأة، وهبت نسمة كنسمات الخريف، فارتجفت "**ماري**"، وضمت ثوبها حول جسدها. وعندما اقتربنا من باب القصر، أسرعت إلينا "**دوركاس**"، وقالت وهي تبكي وتدق صدرها:

– ماذا أقول لك يا سيدتي؟ وكيف أخبرك بما حدث؟

فقلت لها بحزم:

– ماذا حدث يا "**دوركاس**"؟! تكلمي.

– لقد قبض الشرطيان الشريران على السيد "**كافنديش**".

فصحت:

– قبضا على "**لورنس**"؟!

– كلا يا سيدي، قبضا على السيد "**چون**".

فأفلتت من فم "**ماري**" صيحة مؤلمة.. وترنّحت، فأسرعت لأتلقاها بين ساعدي.. ووقع بصري على "**بوارو**".. ورأيته يبتسم ابتسامة المنتصر.

- 10 -

القضية

نُظرت قضية اتهام "**چون كافنديش**" بقتل زوجة أبيه بعد ذلك بشهرين. ولن أطيل الحديث عن الأسابيع التي سبقت المحاكمة، وبحسبي أن أقول إن "**ماري كافنديش**" ظفرت بكل إعجابي وعطفي خلال هذه الفترة؛ ذلك أنها وقفت بشجاعة إلى جوار زوجها، ورفضت الاتهام، ودافعت عنه بأسنانها وأظافرها. وقد عبّرتُ لـ"**بوارو**" عن إعجابي بها، فقال:

– إنها من النساء اللائي لا يظهر معدنهن إلاّ في الشدائد... لقد أبرزت هذه القضية أجمل وأصدق ما فيها... فالقت – جانبًا – كبرياءها وغيرتها...

– غيرتها؟!

– نعم، ألم تلاحظ أنها امرأة غيور إلى أقصى حد؟ أقول إنها القت – جانبًا – كبرياءها وغيرتها. وأصبحت لا تفكر إلاّ في زوجها، وفي المصير الذي ينتظره.

وكان يصدر كلامه عن عاطفة صادقة.. مما ذكرني بحديثه عن القرار الخطير الذي تعين عليه أن يتخذه يومًا ما من أجل سعادة امرأة... قلت له:

– إنني لا أكاد أصدق ما حدث... فقد كنت حتى اللحظة الأخيرة أعتقد أن الاتهام قد يوجه إلى "لورنس"... لا إلى صديقي "چون".

– إن كل مجرم صديق حميم لشخص ما، فلا تخلط بين العقل والعاطفة.

– إنما كان ينبغي أن تنبهني..

– ربما لم أنبهك لأنه صديقك.

– هل تعتقد أنهم سيدينونه يا "بوارو"؟

– أكبر الظن أنه سيبرأ... ألم أقل لك مرارًا إنه ليست هناك أدلة؟ أن تعرف أن الشخص مذنب شيء.. وأن تقدم أدلة إدانته شيء آخر. والأدلة في هذه القضية قليلة وتنقصها الحلقة الأخيرة التي تربط بينها... وما لم أجد هذه الحلقة..

وهز رأسه ولم يتم عبارته.

– متى بدأت ريبتك في "چون كافنديش" يا "بوارو"؟

– ألم ترتَب أنت فيه؟

– نعم.. لم أرتب فيه.

– حتى بعد أن سمعت الحديث الذي دار بين "ماري كافنديش" والسيدة "إنجلثروب"، وبعد أن وضح لك افتقار الأولى إلى الصراحة خلال جلسة التحقيق..؟

– كلا.

– ألم تقل لنفسك: «إذا لم يكن "ألفريد إنجلثروب" هو الذي تشاجر مع زوجته – وقد أكد هو أنه لم يتشاجر معها – فلابد أن يكون الطرف الآخر في المشاجرة هو "لورنس" أو "چون"، فإذا كان "لورنس"، فإن سلوك "ماري كافنديش" لا يكون له معنى أو مبرر.. أمّا إذا كان "چون"... فإن المعنى يستقيم

من جميع الوجوه؟».

– آه! إذن فهو "**چون**" الذي تشاجر مع زوجة أبيه؟

– تمامًا..

– وهل كنت تعلم ذلك منذ البداية؟

– طبعًا؛ لأنه التفسير الوحيد لسلوك "**ماري كافنديش**".

– ومع ذلك تقول إنه سيبرأ؟

– طبعًا.. إننا سنعرف أدلة الاتهام عندما تعرض القضية على محكمة البوليس، ومن المرجّح أن ينصح المحامي المتهم بأن يحتفظ بدفاعه، وهكذا تحال القضية إلى محكمة الجنايات ويستطيع المتهم حينئذ أن يدلي بدفاعه.. وبهذه المناسبة... يجب أن أصارحك بأنني لن أتقدم للشهادة في هذه القضية.. أولاً: لأنني أعمل فيها بصفة رسمية.. وثانيًا: لأننا نتعامل مع مجرم بارع لا ضمير له، ويجب أن نلجأ إلى كل الوسائل المتاحة لنا. وإلاّ أفلت من أيدينا... ولهذا أؤثر البقاء في الظل، وأن ينسب النجاح في اكتشاف الأدلة للمفتش "**جاب**".

وصمت قليلاً ثم استطرد قائلاً:

– إذا كان لابد من شهادتي، فإنني سوف أكون شاهد نفي لا شاهد إثبات.

فلم أصدق أذني.. ومضى "**بوارو**" يقول:

– ذلك أن في استطاعتي أن أهدم ركنًا من أركان الاتهام.

– وهو؟

– وهو الركن الخاص بإحراق الوصية... إن "**چون كافنديش**" لم يحرق الوصية.

وقد صحّ كل ما توقعه "**بوارو**".. ولا محل هنا لتسجيل كل ما قيل في محكمة البوليس، فإنه تكرار للحقائق التي نعرفها، وبحسبي أن أقول إن "**چون**"

احتفظ بدفاعه، فأحيلت القضية إلى محكمة الجنايات.

وعندما أقبل شهر أيلول (سبتمبر)، كنا جميعًا قد انتقلنا إلى "**لندن**" فاستأجرت "**ماري**" بيتًا في حي "**كنسنجتون**" ونزل "**بوارو**" في ضيافتها، أما أنا فقد التحقت بوظيفة بوزارة الحربية واستطعت بذلك أن أراهما كل يوم. ومع مرور الأيام، زادت أعصاب "**بوارو**" توترًا؛ ذلك أنه لم يجد الحلقة الأخيرة التي تحدث عنها.

وفي الخامس عشر من شهر أيلول (سبتمبر) مَثُلَ "**چون كافنديش**" أمام محكمة الجنايات "**أولدبايلي**" متهمًا بقتل زوجة أبيه "**أميلي إنجلثروب**" عمداً مع سبق الإصرار. وقرر المتهم أنه غير مذنب، وتولى الدفاع عنه السير "**أرنست هيفيويذر**" المحامي المشهور، بينما مثل الاتهام السيد "**فيليبس**" المحامي العام. وافتتح ممثل الاتهام الجلسة باستعراض القضية، فقال: إنها جريمة قتل وحشية دبّرها المتهم بإحكام ونفذها بقسوة؛ إذ دس السم لزوجة أبيه التي كانت له بمثابة الأم، فعُنيت به صغيراً، وغمرته بكرمها عندما كبر، وآوته هو وزوجته في قصر "**ستايلز**"، وهيأت لهما حياة رغد ورفاهية. ثم قال إن لديه شهودا على أن المتهم كان منحلاً ومسرفًا، وأنه كان غارقًا في الديون، وله علاقة بسيدة متزوجة في مزرعة مجاورة تسمى "**ريكس**".. ولما علمت زوجة أبيه بسلوكه المشين دعته إليها بعد ظهر اليوم الذي لقيت فيه مصرعها، واشتدت في تعنيفه، واحتدم بينهما شجار سُمع بعض ما دار فيه. وفي اليوم السابق للجريمة، اشترى المتهم من صيدلية القرية كمية من "**الأستركنين**"، وذلك بعد أن تنكر في زي رجل آخر أراد أن يلقي عليه تبعة الجريمة.. وذلك الرجل هو زوج السيدة "**إنجلثروب**" الذي كان المتهم يمقته ويغار منه.. ولحسن الحظ استطاع السيد "**إنجلثروب**" أن يثبت براءته.

وبعد ظهر يوم17 تموز (يوليو)، عقب المشاجرة مباشرة، كتبت السيدة "**إنجلثروب**" وصية جديدة، وقد وجدت بقايا هذه الوصية في مدفأة غرفتها في

صباح اليوم التالي، ولكن هناك أدلة على أن هذه الوصية الجديدة كانت لصالح زوجها، وكانت المجني عليها قد كتبت قبل زواجها وصية أخرى لصالح الزوج نفسه.. ولكن المتهم لم يعلم بامرها.. كذلك لا يعلم المتهم لماذا كتبت المجني عليها الوصية الجديدة على الرغم من وجود الوصية القديمة، قد يكون السبب تقدمها في السن أو لعلها ظنت الزواج قد ألغاها، وخصوصاً أنه قد دار بينها وبين الأسرة حديث بهذا المعنى.. والنساء كما هو معلوم لا يعرفن الكثير في هذه الأمور القانونية. كذلك ثبت أن المجني عليها كتبت قبل عام وصية لصالح المتهم..

ثم قال:

– وساقدم شهوداً على أن المتهم هو الذي حمل القهوة إلى المجني عليها في ليلة مصرعها. ثم أدلة على أنه تسلل إلى غرفتها في تلك الليلة ووجد الوصية وأحرقها.. وظنًّا منه أن إحراقها سيجعل الوصية التي كتبت لصالحه قبل عام نافذة المفعول. وقد قبض المفتش "**جاب**" على المتهم بعد أن وجد في غرفته زجاجة "**الأستركنين**" التي اشتراها من صيدلية القرية قبل الجريمة.

وبذلك أنهى ممثل الاتهام استعراضه لظروف الجريمة، وجفف العرق المتصبب على جبينه وجلس. واستمعت المحكمة إلى شهود الإثبات الذين أدلوا بأقوالهم في جلسة التحقيق، وجاء السيد "**ميس**" الصيدلي، وتعرف الزجاجة التي وجدت في غرفة المتهم، وقال إنه باعها للسيد "**إنجلثروب**" الذي لم يكن يعرفه إلا بالاسم فقط..

وُدعي "**إنجلثروب**" فأنكر أنه اشترى "**الأستركنين**"، كما أنكر أنه تشاجر مع زوجته وأيده بعض الشهود. وشهد البستاني ومساعده بأنهما وقعا باسميهما على الوصية. وجاءت "**دوركاس**" الأمينة، فأنكرت بشدة أن الصوت الذي سمعته في المشاجرة كان صوت "**جون**".. وأصرّت على أنه كان صوت "**إنجلثروب**" نفسه.

وسألها السيد "**فيليبس**" :

– هل تذكرين طرداً ورد من محلات "**باركسون**" إلى السيد "**لورنس كافنديش**" في شهر حزيران (يونيو) الماضي؟

– لا أذكر يا سيدي.. ربما ورد... ولكن السيد "**لورنس**" كان غائبًا في "**ويلز**" خلال شهر حزيران (يونيو) .

– ماذا يحدث عادة إذا ورد له طرد أثناء غيابه؟

– إما أن يوضع في غرفته، أو يرسل إليه حيث يكون.

– أنت التي تفعلين ذلك؟

– كلا يا سيدي. إنني أضعه على مائدة في البهو؛ لتتولى الآنسة "**إيفيلين هوارد**" أمره.

ودعيت "**إيفيلين هوارد**" ، وبعد استجوابها، سئلت عن الطرد فأجابت :

– لا أذكر شيئًا عنه، فإن طروداً كثيرة ترد.

– الا تذكرين ما إذا كان هذا الطرد قد أرسل إلى السيد "**لورنس**" في "**ويلز**" أو وُضع في غرفته؟

– لا أظن أنني أرسلته إليه.

– هبي أن طرداً جاء باسم "**لورنس كافنديش**" ثم اختفى بعد ذلك فهل ستلاحظين اختفاءه؟

– كلا يا سيدي، سيتبادر إلى ذهني أن أحداً تولى أمره.

– أظن يا آنسة "**هوارد**" أنك أنت التي وجدت هذه الورقة السمراء؟

وعرض عليها الورقة التي كانت قد وجدتها فوق أحد الدواليب وقدمتها إلى "**بوارو**" . أجابت :

– نعم يا سيدي.

– كيف عثرت عليها؟

– كلفني البوليس السري البلچيكي المنوط بالقضية بالبحث عنها.

– وأين وجدتها؟

– فوق الدولاب.

– دولاب المتهم؟

– أظن ذلك..

– ألست أنت التي وجدتها؟

– بلى..

– إذن لابد أنك تعرفين أين وجدتها؟

– نعم، وجدتها فوق دولاب المتهم.

وجاء موظف محلات "**باركسون**" للملابس المسرحية، فقرر أنه تلقى رسالة، وإذن بريد من السيد "**كافنديش**".. وقد طلب في الرسالة موافاته بلحية مستعارة سوداء، وأن اللحية أرسلت إليه في طرد بتاريخ 29 حزيران (يونيو).

وهنا نهض السير "**أرنست**" وشرع يناقش الشاهد:

– من أين صدرت الرسالة؟

– من "**ستايلز**".

– وهل أرسلت الطرد إلى هذا العنوان؟

– نعم..

– كيف عرفت أن الرسالة صدرت من "**ستايلز**"؟ هل رأيت خاتم مكتب البريد؟

– كلا، ولكن..

– آه! أنت لم تر خاتم البريد. ومع ذلك تؤكد أن الرسالة صدرت من "**ستايلز**".. أما كان يمكن أن يكون عليها خاتم بريد آخر؟

– نعم.

– ألا يمكن أن تكون الرسالة قد كتبت على ورقة مطبوعة باسم وعنوان قصر "**ستايلز**"، ثم أرسلت من "**ويلز**"؟

– ذلك ممكن..

– حسن هذا يكفي.

ودعيت "**إليزابيث ويست**" – إحدى خادمات قصر "**ستايلز**"– فقررت أنها بعد أن ذهبت إلى فراشها في ليلة الجريمة، تذكرت أنها أوصدت الباب الخارجي بالمزلاج خلافًا لتعليمات السيد "**إنجلثروب**"، فهبطت درج السلم لتصحيح خطئها، وسمعت حركة في الجناح الأيسر، فنظرت في الدهليز، ورأت السيد "**چون كافنديش**" يطرق باب السيدة "**إنجلثروب**".

فنهض السير "**أرنست**" لمناقشتها وراح يلقي عليها السؤال تلو السؤال دون أن يدع لها فرصة للتفكير، حتى اضطربت وناقضت نفسها. وعلى إثر ذلك رفعت الجلسة على أن تعود للانعقاد في صباح اليوم التالي. وفي الطريق إلى البيت، راحت "**ماري**" تتحدث عن ممثل الاتهام بمرارة.. قالت:

– هذا الرجل البغيض.. إنه ألقى شباكه حول "**چون**" المسكين وراح يضخم الحقائق الصغيرة ليجعلها تبدو أكبر من حجمها.

فقلت لأسرّيَ عنها:

– اطمئني.. فسوف يتغير الوضع غداً.

– نعم، نعم. ولكن حدثني يا سيد "**هاستنجز**".. ألا يمكن أن يكون "**لورنس**" هو الذي.. ولكن لا.. ذلك مستحيل..

بيد أنني كنت أيضًا في أشد الحيرة.. وما إن خلوت إلى "**بوارو**" حتى سألته عما يهدف إليه السير "**أرنست**".. فأجاب بلهجة الإكبار:

– إنه رجل بارع.. هذا السير "**أرنست**".

– هل هو مؤمن ببراءة "**چون**"؟

– لا أظن أنه مؤمن بشيء.. إن هدفه فيما أعتقد إحداث أكبر قدر من الاضطرابات والفوضى في أذهان المحلفين، حتى تختلف آراؤهم حول أي الأخوين هو المذنب.. إنه يحاول الآن إقناع المحلفين بأن الأدلة والقرائن ضد "**لورنس**".. لا

تقل عن مثيلاتها ضد "**چون**".. وأنا على يقين من أنه سينجح في ذلك.

*****

وكان المفتش "**جاب**" هو أول الشهود في جلسة اليوم التالي، فأدلى بأقواله بإيجاز ووضوح. وقال بعد أن روى الأحداث الأولى:

– وبناء على المعلومات التي تلقيناها، قمت أنا والمفتش "**سمرهاي**" بتفتيش غرفة المتهم في أثناء غيابه، فعثرنا في أحد الأدراج على نظارة تشبه نظارة السيد "**إنجلثروب**" مخبأة تحت الملابس، كما عثرنا على هذه الزجاجة الصغيرة التي تعرَّفها الصيدلي والتي بها بقية من سم "**الأستركنين**".

وقال "**جاب**" إنه عثر كذلك في دفتر شيكات المجني عليها، وعلى ورقة نشاف جديدة، وضعها أمام المرآة فعكست هذه الكلمات.. (كل ممتلكاتي وأموالي، أتركها بعد موتي لزوجي المحبوب "**ألفريد إنج**"..) مما يؤكد أن الوصية التي أحرقت كانت لصالح زوج المجني عليها. ثم ابرز "**جاب**" اللحية السوداء وقصاصة الورقة المحترقة التي وجدت في المدفأة.

وبذلك انتهت أقواله.. ونهض السير "**أرنست**" لمناقشته. فسأله:

– في أي يوم قمت بتفتيش غرفة المتهم؟

– في يوم الثلاثاء 24 تموز (يوليو).

– تقول إنك وجدت النظارة والزجاجة في درج الملابس.. هل كان الدرج مفتوحًا؟

– نعم.

– ألا ترى أنه من غير المعقول أن يضع الرجل الذي ارتكب جريمة قتل، أدلة الجريمة في درج مفتوح حيث يستطيع أي إنسان أن يجدها؟

– لعله وضعها هناك على عجل.

– ولكنك قلت منذ لحظة إن أسبوعًا مر على ارتكاب الجريمة، أي أنه كان لديه

الوقت الكافي لنقل الأدلة أو تدميرها.

- ربما.

- لا توجد ربما.. هل كان لديه الوقت الكافي لنقل الأدلة أو تدميرها أم لم يكن؟

- كان لديه الوقت الكافي.

- هل كانت الثياب الداخلية التي أخفيت تحتها الأدلة ثقيلة أم خفيفة؟

- كانت ثقيلة.

- معنى ذلك أنها ثياب شتوية.. وأنه من الطبيعي أن يتوجه المتهم في أشد أسابيع الصيف إلى الدرج الذي يحتوي على ملابس الشتاء؟ نعم.. أم لا؟

- لا.

في هذه الحالة.. ألا يمكن أن يكون شخص آخر قد وضع الأدلة في الدرج.. وأن المتهم لا يعلم شيئًا عنها؟

- لا أظن أن ذلك ما حدث.

- ولكنه ممكن الحدوث؟

- نعم.

وتوالت الأدلة: أدلة على سوء مركز المتهم، وأدلة على مغامراته مع السيدة "ريكس".. مسكينة "ماري"!! لابد أن تكون هذه الأدلة قد حطمت كبرياءها. ودعي "لورنس كافنديش" لأداء الشهادة.. وأجاب بصوت خافت عن أسئلة ممثل الاتهام، فنفى أنه طلب شيئًا من محلات "باركسون" في شهر حزيران (يونيو) وقال إنه في يوم 29 حزيران (يونيو) كان موجودًا في "ويلز". وتصدى السير "أرنست" لمناقشة الشاهد. سأله:

- هل تنكر أنك طلبت لحية سوداء من محلات "باركسون" في يوم 29 حزيران (يونيو)؟

إذا حدث لأخيك شيء فمن يرث قصر "ستايلز"؟

وكان السؤال من القسوة بحيث احمر وجه الشاهد بعد امتقاع، وهمس القاضي بكلمات تعبّر عن الاستهجان. وهز المتهم قضبان قفصه الحديدي، غضبًا، ولكن المحامي لم يعبأ بغضب موكله، وصاح بالشاهد:

– أجب عن سؤالي.

فأجاب "لورنس" في هدوء:

– أظن أنني أرثه.

– ماذا تعني بكلمة (أظن)؟ إن أخاك لم يرزق بأولاد.. فأنت الذي ترثه.. أليس كذلك؟

– بلى.

– وترث كذلك جانبًا من ثروته.. أليس كذلك؟

فقال القاضي محتجًا:

– أعتقد أن هذه الأسئلة لا ضرورة لها يا سير "أرنست"؟

فأحنى السير "أرنست" رأسه موافقًا.. ولكن بعد أن كان قد أطلق سهمه.

– هل ذهبت في يوم الثلاثاء 17 تموز (يوليو) ومعك زائر آخر لزيارة صيدلية مستشفى الصليب الأحمر في "تادمنستر"؟

– نعم.

وهل انتهزت فرصة وجودك لبضع ثوان، ففتحت خزانة العقاقير السامة وفحصت بعض الزجاجات؟

– قد.. قد أكون فعلت ذلك.

– أنا أقول إنك فعلت ذلك.

– نعم.

– هل فحصت زجاجة بعينها؟

– كلا.. لا أظن أنني فعلت.

– حذار يا سيد "كافنديش"! إنني أتكلم عن زجاجة صغيرة بها "هيدرو

كلوريد الأستركنين" .

– كلا، أنا واثق بأنني لم أفعل.

– إذن كيف تفسر وجود بصمات أصابعك على الزجاجة؟

كانت خشونة السير "أرنست" في المناقشة خليقة بأن تدمر الشاهد العصبي..

قال "لورنس" بلسان متلعثم:

– أعتقد.. أعتقد أنني تناولت الزجاجة.

– أنا أيضًا أعتقد ذلك.. هل تناولت شيئًا من محتويات الزجاجة؟

– كلا بالتأكيد.

– إذن لماذا تناولتها؟

– إنني درست الطب، وطبيعي أن أهتم بهذه الأشياء؟

– آه! طبيعي أن تهتم بالسموم؟ ومع ذلك فإنك انتظرت حتى أصبحت وحدك لكي تمارس اهتمامك.

– لم يكن ذلك سوى مصادفة.. ولو بقي الآخرون لفعلت الشيء نفسه.

– ولكن ما حدث فعلاً هو أن الآخرين لم يبقوا.

– نعم... ولكن.

– الواقع أنك طوال فترة الظهر، لم تنفرد بنفسك أكثر من دقيقتين.. وشاءت المصادفة.. أقول المصادفة.. ألاّ يظهر اهتمامك الطبيعي بـ" الأستركنين" إلاّ خلال هاتين الدقيقتين..

فقال "لورنس" متلعثمًا:

– أنا.. أنا..

ولم يدع له السير "أرنست" فرصة للكلام. وقال:

– لم يبق هناك ما أسألك عنه يا سيد "كافنديش"..

*****

وأحدثت هذه المناقشة تأثيراً عميقًا في قاعة الجلسة.. فالتقت الرءوس، وزاد التهامس، وحدثت جلبة غير عادية اضطرت القاضي إلى التهديد بإخلاء الجلسة إذا لم يسد النظام.

ونودي على خبراء الخطوط للإدلاء برأيهم في توقيع "**ألفريد إنجلثروب**" في سجل السموم الخاص بصيدلية القرية، فقرروا بالإجماع أن التوقيع ليس خطه.. ولكن يحتمل أن يكون بخط المتهم؛ نظرا للتشابه بينه وبين خط التوقيع.. وبدأ السير "**أرنست**" دفاعه عن المتهم، وكان دفاعًا مركزًا، فيه كثير من ملامح القوة، فقال إنه لم ير طوال حياته العملية اتهامًا في جريمة قتل يستند إلى أدلة أشد هزالاً من أدلة هذا الاتهام.. ليس فقط لأنها تقوم عل القرائن، وإنما كذلك لأن الجانب الأكبر منها لم يثبت، ثم طلب إلى المحلفين أن ينظروا إلى أقوال الشهود بغير تحيز، فـ"**الأستركنين**" مثلاً قد وجد في درج بغرفة المتهم، وثبت أن الدرج كان مفتوحًا، ولم يقم دليل على أن المتهم هو الذي أخفى السم فيه.. والواقع، أن إخفاء السم في ذلك الدرج كان محاولة آثمة من صنع شخص آخر للإيقاع بالمتهم، وإثبات التهمة عليه.

هذا وقد عجز الاتهام تمامًا عن إبراز أي دليل على أن المتهم طلب اللحية السوداء من محلات "**باركسون**". أما الخلاف الذي شجر بين المتهم وزوجة أبيه. فإن المتهم قد اعترف به، بيد أن هذا الخلاف ومتاعب المتهم المالية قد بولغ فيهما كثيراً. وقد قال الزميل المحترم ممثل الاتهام إن المتهم لو كان بريئًا لتقدم بنفسه في جلسة التحقيق واعترف بأنه هو الطرف الثاني في المشاجرة، وليس السيد "**إنجلثروب**".. ولكن يبدو أن الحقائق قد أسيء عرضها؛ لأن ما حدث فعلاً هو الآتي: عندما عاد المتهم إلى البيت في مساء الثلاثاء، قال له مصدر لا يشك في صدقه إن شجاراً عنيفًا وقع بين السيدة "**إنجلثروب**" وزوجها. فلم يتطرق إلى ذهن المتهم أن هناك من يخطئ في معرفة صوته ويتوهم أنه صوت "**إنجلثروب**"، وهكذا اعتقد المتهم أن زوجة أبيه تشاجرت مرتين.. مرة معه،

ومرة أخرى مع زوجها.. وقال الاتهام إنه في مساء يوم الاثنين 16 حزيران (يونيو) ذهب المتهم إلى صيدلية القرية متنكرًا في زي السيد "**إنجلثروب**"، والواقع أن المتهم كان في ذلك الوقت في بقعة مهجورة تدعى "**مطحن مارستون**". وقد ذهب إليها؛ تلبية لرسالة من مجهول كتبت بأسلوب ابتزازي، وتضمنت تهديداً بإطلاع زوجته على أمور معينة، إذا هو لم يستجب لما جاء في الرسالة. وهكذا ذهب المتهم إلى ذلك المكان، وبعد أن انتظر زهاء نصف ساعة بلا جدوى، عاد أدراجه إلى البيت. ومن سوء الحظ أنه لم يلتق في الذهاب والإياب بأي شخص يمكن أن يؤيد صدق هذه القضية.. ولكن من حسن الحظ أنه احتفظ بالرسالة.. وسيقدمها الدفاع كدليل.. أما الوصية التي قيل إن المتهم أحرقها، فإن المتهم قد مارس المحاماة في وقت ما، ويعلم جيداً أن الوصية التي كتبت لصالحه قبل عام قد أصبحت ملغاة بعد زواج زوجة أبيه.. وأن الدفاع على استعداد لأن يقيم الدليل على أن شخصاً آخر هو الذي أحرق الوصية.. مما قد يترتب عليه تحويل جديد في سير القضية.. ثم لفت أنظار المحلفين إلى وجود أدلة ضد أناس آخرين عدا "**جون كافنديش**".. ومن هؤلاء على سبيل المثال السيد "**لورنس كافنديش**" الذي تكاد الأدلة ضده تكون في قوة الأدلة ضد أخيه وربما أقوى.. ثم طلب الدفاع استجواب المتهم.. واستطاع "**جون**" بفضل لباقة السير "**أرنست**" وحسن إرشاده أن يقنع المحلفين بقصته، وأبرز السير "**أرنست**" الرسالة التي تلقاها المتهم وقدمها إلى المحلفين لفحصها.. وكان لاعتراف "**جون**" الصريح بمتاعبه المالية وبمشاجرته مع زوجة أبيه وقع طيب دعم موقفه. وفي نهاية المناقشة، تريث "**جون**" قليلاً ثم قال:

– يهمني أن أوضح أمرًا واحداً.. إنني أرفض تماماً ولا أقر أبداً تلميحات السير "**أرنست**" ضد أخي؛ لأنني واثق ببراءة أخي، بقدر ثقتي ببراءتي..

فابتسم السير "**أرنست**"، ولاحظ بارتياح الأثر الطيب الذي تركه هذا التصريح في نفوس المحلفين. ثم بدأ استجواب المتهم، فسأله السيد "**فيليبس**" ممثل الاتهام:

– قلت إنه لم يتطرق إلى ذهنك أن الشهود في جلسة التحقيق قد أخطأوا وظنوا أنهم سمعوا صوت "إنجلثروب" لا صوتك.. أفلا ترى أن هذا الكلام يبعث على الدهشة؟

– كلا، فقد قيل لي إنها كانت مشاجرة بين السيدة "إنجلثروب" وزوجها، ولم يخطر لي ببال أن ذلك غير صحيح.

– حتى بعد أن ذكرت "دوركاس" فقرات من الحديث لابد أنك تذكرها جيداً؟

– إنني لم أذكرها.

– لابد أن ذاكرتك ضعيفة بطريقة غير مألوفة..

– كلا، ولكنني كنت غاضباً، وقلت كلاماً كثيراً، ولم ألق بالاً إلى كلمات أمي..

وانتقل السيد "فيليبس" إلى موضوع آخر، قال:

– إنك أبرزت هذه الرسالة في الوقت المناسب، ولكن أخبرني.. ألم تلاحظ شيئاً مألوفاً في الخط الذي كتبت به؟

– كلا..

– ألا ترى أن هناك تشابهاً ملحوظاً بينه وبين خطك بعد قليل من التغيير؟

– لا أظن ذلك..

– أنا أقول إنه خطك..

– كلا..

– وإنك بعد أن اخترعت قصة الموعد المزعوم في ذلك المكان المهجور، كتبت هذه الرسالة تأييدا لقصتك..

– كلا!

– أليس صحيحاً أنك في الوقت الذي زعمت أنك ذهبت فيه إلى المكان المهجور، كنت في الواقع في الصيدلية حيث اشتريت "الأستركنين" باسم السيد

"إنجلشروب" ؟

– هذا كذب..

– أنا أقول إنك ارتديت أحد ثياب "إنجلشروب"، وتنكرت بلحية كلحيته ووضعت على عينيك نظارة كنظارته.. ووقعت على السجل باسمه..

– لم يحدث.

– إذن أنا أترك لهيئة المحلفين الحكم على التشابه الواضح بين خط الرسالة وخط التوقيع وخطك..

قال ذلك وعاد إلى مقعده.. ولما كان الوقت متأخراً، فقد اكتفت المحكمة بهذا القدر، وأمر القاضي برفع الجلسة، على أن يستأنف نظر القضية في صباح الاثنين.. ولاحظت عبوس "بوارو" ووجومه، فسألته:

– ماذا بك يا سيد "بوارو" ؟

– إن الأمور تسير من سيئ إلى أسوأ أيها الصديق، ولم أعثر بعد على الحلقة الأخيرة.

وعندما وصلنا إلى البيت، دعته "ماري" لتناول الشاي، ولكنه اعتذر وهرول إلى غرفته.. وعندما لحقت به.. وجدته جالساً مقطب الجبين إلى مكتبه، وأمامه بعض أوراق اللعب يحاول أن يقيم بها بيتاً..

فسألته:

– ما هذا الذي تفعله يا "بوارو" ؟

– إنني أحاول تهدئة أعصابي.. هذا كل ما في الأمر.. وهذه العملية تتطلب اتزان الأصابع.. واتزان الأصابع معناه اتزان العقل..

ورأيت البيت المصنوع من ورق اللعب يرتفع طابقاً بعد طابق، فقلت له بإعجاب:

– ما اثبت يدك يا "بوارو" !! لقد حدث مرة واحدة فقط أن رأيت يدك ترتجف..

– لابد أنني كنت ثائراً..

– بل كنت في قمة الثورة.. هل تذكر متى حدث ذلك؟ حين اكتشفت أن قفل حقيبة أوراق السيدة "**إنجلثروب**" قد فتح عنوة.. وقتئذ وقفت أمام المدفأة وأخذت تعيد تنظيم التحف والأشياء التي فوقها.. فلاحظت أن يدك ترتجف كريشة في..

ولم أتم عبارتي، فقد أرسل "**بوارو**" فجأة صيحة مزعجة، وهدم بيت الورق الذي شيده.. ثم وضع يديه فوق عينيه ووقف يترنح.. واستولى عليّ الذعر، وهتفت:

– ماذا أصابك يا "**بوارو**"؟ هل أنت مريض؟

– كلا، كلا. إنها فكرة خطرت لي..

– كسائر أفكارك الصغيرة المألوفة؟

– كلا.. إنها هذه المرة فكرة هائلة.. هائلة..

وانقض عليّ وضمني إلى صدره، وقبل جبيني.. وانطلق يعدو إلى الخارج كالمجنون..

- 11 -

الحلقة الأخيرة

لم يعد "**بوارو**" في تلك الليلة.. وانتظرنا عودته في الصباح دون جدوى.. وحوالي الساعة الثالثة بعد ظهر ذلك اليوم، وكان يوم أحد، وقفت إحدى السيارات الأجرة بالباب وهبط منها "**بوارو**" ومعه المفتشان "**جاب**"، و"**سمرهاي**".. وكان "**بوارو**" متهلل الوجه، هادئ الأعصاب، فأحنى قامته لـ"**ماري كافنديش**" باحترام مبالغ فيه، وقال:

– هل تسمح لي سيدتي بأن أعقد اجتماعًا صغيرًا بقاعة الاستقبال؟

فارتسمت على شفتيها ابتسامة حزينة، وأجابت:

– أنت تعلم يا سيد "بوارو" أن كل مطلب لك مجاب..

– أنت كريمة جداً يا سيدتي..

ودعانا جميعاً للاجتماع به في قاعة الاستقبال، وقال وهو يحدد لكل منّا مكانه:

– الآنسة "هوارد".. هنا، الآنسة "سنثيا" .. والسيد "لورنس"، و"دوركاس" الطيبة، و"آني".. هذا حسن، يجب أن ننتظر بضع دقائق ريثما يحضر السيد "إنجلثروب".. لقد أرسلت في طلبه..

وثبت "إيفيلين هوارد" من مقعدها، وصاحت:

– إذا جاء هذا الرجل فإنني سأغادر البيت..

فقال "بوارو":

– كلا، كلا يا آنسة "هوارد".

وما زال يتحدث إليها بصوت خافت حتى عادت إلى مقعدها.. وبعد بضع دقائق دخل "ألفريد إنجلثروب". وما إن استقر كل في مكانه حتى نهض "بوارو" واقفاً، وقال بعد أن أحنى قامته تحية للموجودين كما يفعل المحاضر:

– سيداتي، سادتي.. لقد دعاني السيد "جون كافنديش" – كما تعلمون جميعاً – لبحث هذه القضية، فشرعت على الفور أفتش غرفة المجني عليها، وكانت قد أغلقت بأمر الطبيبين؛ ولهذا وجدتها في الحالة نفسها التي كانت عليها عند وقوع الحادث..

وكانت نتيجة التفتيش أنني عثرت على ثلاثة أشياء: الأول – بعض خيوط من نسيج أخضر اللون، والثاني – بقعة كبيرة لا تزال رطبة على السجادة بالقرب من النافذة، والثالث – علبة فارغة كان بها مادة "البروميد".. وسأتحدث الآن عن الخيوط الخضراء.. إنني وجدت هذه الخيوط عالقة بمزلاج الباب الموصل بين غرفة المجني عليها وغرفة الآنسة "سنثيا" .. وقد وضعت هذه

الخيوط بين أيدي رجال البوليس فلم يجدوا لها أهمية.. ولم يستطيعوا تمييزها كجزء من أحد الأكمام الخضراء، التي يستخدمها العاملون في المزارع والحظائر عند حلب الأبقار..

ولم يكن في قصر "ستايلز" من يعنى بحلب الأبقار سوى السيدة "كافنديش".. إذن لابد أن تكون السيدة "كافنديش" هي التي دخلت غرفة المجني عليها من الباب الموصل بين هذه الغرفة وغرفة الآنسة "سنثيا" .. وهنا لم أتمالك أن صحت:

– ولكن هذا الباب كان موصدا بالمزلاج من الداخل!!

فأجاب "بوارو":

– نعم، عندما فتشت الغرفة كان هذا الباب موصداً بالمزلاج من الداخل.. ولكن قبل التفتيش.. أو على الأصح عند محاولة الوصول إلى غرفة السيدة "إنجلثروب" لنجدتها.. كانت السيدة "كافنديش" هي التي عالجت هذا الباب بالذات، وهي التي قالت إنه موصد بالمزلاج من الداخل.. والحقيقة أنه لم يكن موصداً، وأنها انتهزت فرصة الاضطراب الذي حدث بعد اقتحام الغرفة، فأوصدت الباب بالمزلاج..

ولقد أردت التحقق من صحة استنتاجاتي.. فوجدت أن الخيوط الخضراء منزوعة فعلاً من أحد الأكمام التي تستخدمها السيدة "كافنديش" في حلب الأبقار.. وقالت السيدة "كافنديش" في جلسة التحقيق: إنها كانت في غرفتها حين سمعت صوت سقوط المائدة الصغيرة في غرفة السيدة "إنجلثروب"، فأردت أن أتحقق من ذلك أيضاً، وأوقفت صديقي السيد "هاستنجز" بجوار بابها، وتعمدت إسقاط المائدة في غرفة السيدة "إنجلثروب"، وكانت النتيجة كما توقعت؛ إذ لم يسمع السيد "هاستنجز" أي صوت على الإطلاق.. مما أيد اعتقادي بأن السيدة "كافنديش" لم تذكر الحقيقة حين قالت إنها كانت ترتدي ثيابها في غرفتها وقت المأساة.. والواقع أنها كانت ترتقي غرفة المجني عليها حين دقّت هذه الأخيرة الجرس

الذي أيقظ وصيفتها..

وهنا حانت مني التفاتة إلى "ماري كافنديش".. فإذا بها تبتسم على الرغم من شحوب وجهها.. واستطرد "بوارو" قائلاً:

– ومن هذا المنطلق، تبلور تصوري للأحداث.. على النحو التالي: لقد دخلت السيدة "كافنديش" غرفة المجني عليها للبحث عن شيء.. ولم تكن قد عثرت عليه حين استيقظت السيدة "إنجلثروب" فجأة على نوبة قلب حادة وبسطت يدها بعنف فأسقطت المائدة الصغيرة التي بجوار فراشها، ثم عثرت على زر الجرس وضغطته بعنف..

ونظر إلى السيدة "كافنديش"، وسألها:

– هل أنا على صواب يا سيدتي؟

– نعم يا سيدي، ولكن يجب أن تدرك أنه لو كان الكشف عن هذه الحقائق يفيد زوجي لما ترددت في الاعتراف بها، ولكني رأيت أنها لن تؤثر في براءته أو إدانته..

– هذا صحيح إلى حد ما يا سيدتي، ولكن هذه الحقائق جنبتني التخبط وجعلتني أرى الأمور بوضوح..

فصاح "لورنس":

– إذن أنت التي أحرقت الوصية يا "ماري"؟

فهز "بوارو" رأسه وكذلك فعلت "ماري"، وقال الأول:

– كلا.. لا يوجد سوى شخص واحد كان في استطاعته أن يحرق الوصية، ذلك الشخص هو السيدة "إنجلثروب" نفسها..

فصحت:

– مستحيل!! إنها كانت قد كتبتها منذ ساعات قلائل فقط..

فقال "بوارو":

– نعم يا صديقي! إن السيدة "إنجلثروب" هي التي أحرقتها.. وإلاَّ فبماذا

تفسر الأمر الذي أصدرته بإشعال النار في مدفأة غرفتها في يوم من أشد الأيام حرارة وقيظًا؟ لقد كانت درجة الحرارة في ذلك اليوم 27 درجة مئوية في الظل، ومع ذلك أمرت السيدة "إنجلثروب" بإشعال النار في المدفأة.. لماذا؟ لأنها أرادت تدمير شيء لم تجد وسيلة أخرى لتدميره.. وأنتم تعلمون أن القصر كان يطبق اقتصاديات الحرب التي تقضي بالاحتفاظ بالأوراق المهملة.. ولن تكون هناك وسيلة أخرى للتخلص من ورقة سميكة كالورقة التي كتبت عليها الوصية.. وعندما علمت أن السيدة "إنجلثروب" أمرت بإشعال النار في مدفأتها. استنتجت على الفور أنها تريد إحراق وثيقة مهمة. قد تكون وصية؛ ولذلك لم أدهش حين وجدت تلك القصاصة في رماد المدفأة، ولم أكن لأعلم وقتئذ أن الوصية كتبت بعد ظهر ذلك اليوم فقط، فلما علمت، تصورت خطأ أن السيدة "إنجلثروب" إنما قررت بعد ظهر ذلك اليوم.. وأن المشاجرة حدثت بعد كتابة الوصية لا قبلها. وقد اضطررت، بعد أن تبينت خطئي، إلى مواجهة المشكلة من زاوية أخرى..

لقد قررت "دوركاس" أنها في الساعة الرابعة سمعت سيدتها تصيح بغضب: «لا يجب أن تتصور أن الخوف من فضيحة بين زوج وزوجته يمكن أن يثنيني عما قررته». فاستنتجت، وكان استنتاجي صحيحًا، أن هذا الكلام كان موجهًا إلى السيدة "جون كافنديش" لا إلى زوجها.. وفي الساعة الخامسة.. أي بعد ساعة، استعملت السيدة "إنجلثروب" الألفاظ نفسها، ولكن من وجهة نظر أخرى؛ إذ قالت لـ"دوركاس": «إنني لا أعرف ماذا يجب أن أفعل.. إن الفضيحة بين الزوج وزوجته أمر مخيف..».. وفي الساعة الرابعة كانت غاضبة، ولكنها لم تفقد سيطرتها على نفسها.. وفي الساعة الخامسة كانت تمر بأزمة قلبية عنيفة، وقالت إن الأمر (كان صدمة شديدة لها).. وقد نظرت إلى الموضوع من الناحية النفسية، وخلصت إلى نتيجة اعتقدت أنها صحيحة وهي أن الفضيحة التي تكلمت عنها في المرة الثانية كانت غير الفضيحة التي

تكلمت عنها في المرة الأولى.. وأنها تخصها شخصيًا.. ولقد تصورت الأحداث على هذا النحو التالي:

في الساعة الرابعة تشاجرت السيدة "**إنجلثروب**" مع "**چون كافنديش**" وهددته بأن تخبر زوجته التي سمعت في الواقع جانبًا من الحديث..

وفي الساعة الرابعة والنصف، ونتيجة لحوار سبق أن دار حول الوصايا وصحتها، كتبت السيدة "**إنجلثروب**" وصية جديدة لصالح زوجها شهد عليها البستانيان..

وفي الساعة الخامسة، وجدت "**دوركاس**" سيدتها مضطربة وبيدها ورقة.. وأمرتها سيدتها حينئذ بإشعال النار في مدفأتها..

معنى ذلك أن شيئًا لابد قد حدث بين الرابعة والنصف والخامسة، أزعج السيدة "**إنجلثروب**" وغير عواطفها وجعلها تقرر إعدام الوصية بسرعة، كما كتبتها بسرعة.. فما هذا الشيء؟

إنها، على قدر ما نعلم، كانت وحدها خلال فترة نصف الساعة هذه؛ فلم يدخل مخدعها أو يغادره أحد. إذن ماذا غير عواطفها فجأة على هذا النحو؟ ليس من سبيل غير الحدس والتخمين.. ولكني أعتقد أن ما خمنته كان صحيحًا..

نحن نعلم أن السيدة "**إنجلثروب**" لم يكن لديها طوابع بريد في مكتبها؛ لأنها طلبت من "**دوركاس**" أن تبتاع لها الطوابع.. وكان مكتب زوجها في ركن الغرفة أمامها.. والمكتب مغلق وهي بحاجة إلى الطوابع فوراً.. من المرجح إذن، وفقًا لتصوري، أنها حاولت فتح مكتب زوجها وجربت مفاتيحها الخاصة، ونجحت، وفتحت الدرج وأثناء بحثها عن الطوابع، وجدت الورقة التي رأتها "**دوركاس**" في يدها.. ومن ناحية أخرى توهمت السيدة "**كافنديش**" أن هذه الورقة التي تشبثت بها السيدة "**إنجلثروب**" لم تكن إلاَّ دليلاً خطيًّا على خيانة زوجها، فطلبتها منها.. فأكدت لها السيدة "**إنجلثروب**" أن الورقة ليست خاصة بموضوعها، وكانت صادقة، غير أن السيدة "**كافنديش**" ظنت أنها تتستر على "**چون**"، والسيدة

"**كافنديش**" سيدة قوية العزيمة، وتغار على زوجها بجنون على الرغم من تظاهرها بغير ذلك..

وتصادف أن وجدت السيدة "**كافنديش**" مفتاح الحقيبة الذي كانت السيدة "**إنجلثروب**" قد فقدته في صباح ذلك اليوم.. وكانت تعلم أن حماتها تحتفظ بكل الأوراق المهمة في تلك الحقيبة، فتفتق ذهنها عن خطة لا تفكر في مثلها إلا امرأة أضلتها الغيرة واستبد بها اليأس.. وانتهزت إحدى الفرص وفتحت مزلاج الباب الموصل بين غرفتي السيدة "**إنجلثروب**" و"سنثيا"، ولعلها وضعت كذلك زيتا في مفصلات الباب؛ لأنه لم يحدث صوتًا عندما حركته، وقررت تنفيذ خطتها في الساعات الأولى من الصباح، وهو الوقت الذي تعود فيه الخدم سماع حركتها في غرفتها وهي ترتدي ثياب العمل لتشرع تحلب الأبقار.. وهكذا استيقظت كالعادة وارتدت الثياب المألوفة، وبدلاً من أن تذهب إلى الحظيرة، تسللت إلى غرفة "سنثيا" ومنها إلى غرفة السيدة "**إنجلثروب**".

وهنا صاحت "سنثيا":

– لو أن أحداً دخل غرفتي لاستيقظت..

– هذا إذا لم تكوني تحت تأثير المخدر..

– مخدر؟!

ثم التفت إلينا، وقال:

– لعلكم تذكرون أن الآنسة "سنثيا" ظلت مستغرقة في النوم على الرغم من الضجة التي حدثت في الغرفة المجاورة.. وكان هناك احتمالان.. إما أنها تظاهرت بالنوم.. وهو ما لم أعتقده.. أو أنها كانت تحت تأثير مخدر.. وكان الاحتمال الثاني في ذهني عندما فحصت أقداح القهوة بعناية شديدة وأنا أعلم أن السيدة "**كافنديش**" هي التي حملت القهوة إلى "سنثيا" بعد العشاء..

أخذت عينة من كل قدح.. وأرسلتها للتحليل، فكانت النتيجة سلبية.. ستة أشخاص كانوا قد تناولوا القهوة..

فأحصيت الأقداح فكان عددها ستة.. بما في ذلك القدح الذي وجد مهشمًا في غرفة السيدة "إنجلثروب".. لابد إذن أنني كنت على خطإ.. ولكني ما لبثت أن اكتشفت أن الدكتور "باور شتاين" زار القصر في تلك الليلة، وأن القهوة صنعت لسبعة أشخاص لا لستة.. إذن أين القدح السابع؟

أيقنت أن القدح المفقود هو قدح الآنسة "سنثيا" ، خصوصا أن بقايا القهوة في الأقداح الموجودة كانت محلاة بالسكر، بينما الآنسة "سنثيا" لا تتناول أبدًا قهوتها محلاة.. واسترعى انتباهي ما قالته الخادمة "آني" عن ملح وجدته في الصحفة التي حملت فيها الكاكاو إلى السيدة "إنجلثروب"، فأخذت عينة من الكاكاو، وأرسلتها للتحليل..

فقال "لورنس" :

– ولكن الدكتور "باور شتاين" كان قد أرسل عينة للتحليل فعلاً..

– نعم.. إنه طلب تحليلها؛ لمعرفة ما إذا كان بها سم "الأستركنين".. أما أنا فطلبت تحليلها؛ لمعرفة ما إذا كان بها مخدر.

– مخدر؟!

– نعم، وها هو تقرير المعمل عن نتيجة التحليل..

وصمت قليلا، ثم قال:

– لقد وضعت السيدة "كافنديش" المخدر بكمية مأمونة في قهوة الآنسة "سنثيا" ، وفي كاكاو السيدة "إنجلثروب".. وفي استطاعتنا أن نتصور هلعها حين رأت ما أصاب السيدة "إنجلثروب".. ولقد ظنت أن كمية المخدر كانت أكثر مما ينبغي فقتلها.. وأنها سوف تكون المسؤولة عن موتها. وتحت تأثير الفزع، أسرعت إلى قدح "سنثيا" فأخفته في إحدى الزهريات حيث وجدته "دوركاس" فيما بعد وقدمته إليّ.. ولكنها لم تجسر على الاقتراب من بقايا الكاكاو، لكثرة العيون حولها في غرفة السيدة "إنجلثروب"..

وفي استطاعتنا الآن أن نعرف لماذا تأخر ظهور أعراض "الأستركنين"؟ إن تناول

المخدر مع "**الأستركنين**" من شأنه دائمًا أن يؤخر تأثير السم بضع ساعات.

وصمت، فقالت "**ماري**" وقد بدا وجهها يسترد لونه الطبيعي:

– كل ما قلته صحيح يا سيد "**بوارو**".. فتلك كانت من أشد الساعات هولاً التي مرت بي في حياتي.. ولكنك عجيب حقًا.. ولقد فهمت الآن ما..

– ما كنت أعنيه حين قلت إن بوسعك الاعتراف لبابا "**بوارو**"؟ ولكنك لم تريدي الوثوق بي..

فقال "**لورنس**":

– فهمت الآن كل شيء.. فتناول الكاكاو بالمخدر مع القهوة المسمومة.. أخر ظهور أعراض التسمم..

– تمامًا، ولكن هل كانت القهوة مسمومة؟ ذلك مالا نستطيع أن نقطع فيه برأي؛ لأن السيدة "**إنجلثروب**" لم تشرب تلك القهوة.

فارتفعت صيحات الدهشة من كل مكان، واستطرد "**بوارو**" قائلاً:

– لعلكم تذكرون أنني حدثتكم عن بقعة كبيرة على السجادة في غرفة السيدة "**إنجلثروب**"؟ لقد تميزت هذه البقعة ببعض الخصائص.. منها أنها كانت لا تزال رطبة.. وأنها كانت تنبعث منها رائحة القهوة قوية نفاذة.. وأن ذرات صغيرة من القدح كانت مبعثرة فيها.. ولكن ما حدث كان واضحًا لي تمام الوضوح. ذلك أنني ما كدت أضع حقيبتي الصغيرة على المائدة بجوار النافذة... حتى انهارت المائدة، لعيب في ترابط قوائمها.. وسقطت الحقيبة على الأرض.. ومن المؤكد أن ذلك بالضبط ما حدث مع السيدة "**إنجلثروب**"، فإنها ما كادت تضع قدح القهوة على المائدة حتى انهارت المائدة بما عليها. وما حدث بعد ذلك عرفته بالتخمين، وهو أن السيدة "**إنجلثروب**" لابد أن تكون قد التقطت حطام القدح ووضعته على المائدة الصغيرة التي بجوار الفراش. ولما أحست بحاجتها إلى شراب منشط قامت بتسخين الكاكاو وشربته. وهنا نجد أنفسنا أمام مشكلة جديدة. فنحن نعرف أن الكاكاو كان خاليًا من

"**الأستركنين**" .. وأن القهوة سالت على الأرض ولم تُشرب، فكيف حدث التسمم إذن؟

من المؤكد أن "**الأستركنين**" تم تناوله بين السابعة والتاسعة مساء... فأي سائل آخر كان في الغرفة، عدا الكاكاو والقهوة يصلح لإخفاء مذاق "**الأستركنين**" وتخفيف مرارته؟

قال ذلك ونظر إلينا، وانتظر قليلاً، ثم أجاب بنفسه عن السؤال. قال:

– كان هناك الدواء الذي اعتادت أن تتناوله.

فصحت قائلاً:

– هل تعني أن القاتل وضع السم في زجاجة الدواء المقوي؟

– القاتل لم يكن بحاجة إلى وضع السم في الدواء نفسه. ولكي أوضح لكم ذلك، سأتلو عليكم فقرة من كتاب في الصيدلة وجدته في صيدلية مستشفى الصليب الأحمر بـ"**تادمنستر**".

أوردت الفقرة التركيب الدوائي التالي:

سلفات "**الأستركنين**"	1 جرام.
بوتاس البروميد	3 جرامات
ماء	3 جرامات

ثم قال إن هذا التركيب أصبح معروفًا لدى الصيادلة في جميع أنحاء العالم بعد أن تسبب في وفاة إحدى السيدات الإنجليزيات... ذلك أن "**البروميد**" حوّل جانبًا من "**الأستركنين**" إلى بللورات شفافة صغيرة ترسبت في قاع الزجاجة، فلما تناولت الجرعة الأخيرة من الدواء.. كانت هذه الجرعة عبارة عن "**الأستركنين**" مركزًا مما أدى إلى وفاتها. ذلك ما جاء في الكتاب الذي أشرت إليه. ولنتحدث الآن عن دواء السيدة "**إنجلثروب**".

لقد وصف لها الدكتور "**ويلكنز**" هذا الدواء.. وكان خاليًا طبعًا من مادة "**البروميد**". ولكنكم تذكرون أنني حدثتكم عن علبة فارغة كانت بها أقراص

"**البروميد**"، فإذا وضع قرص أو قرصان من البروميد في زجاجة الدواء ترسب "**الأستركنين**" كله في القاع، فتتناوله المريضة في آخر جرعة.

وقد كان الشخص الذي تعود تقديم الدواء إلى السيدة "**إنجلثروب**" حريصًا على عدم رج الزجاجة؛ لكي يظل "**الأستركنين**" راسبًا في القاع.

وتدل شواهد كثيرة على أن يوم الاثنين كان الموعد المحدد أصلاً للمأساة... ففي ذلك اليوم قطعت أسلاك جرس السيدة "**إنجلثروب**"، وتقرر أن تقضي السيدة "**سنثيا**" ليلتها عند إحدى صديقاتها، وبذلك تظل السيدة "**إنجلثروب**" في الجناح الأيمن وحدها.. بعيدة عن النجدة؛ لكي تموت قبل أن تتلقى أية معونة طبية. ولكن السيدة "**إنجلثروب**" في تعجلها لحضور الحفلة في القرية في الوقت المناسب، نسيت أن تتناول دواءها.. وفي اليوم التالي تناولت الغداء عند بعض أصدقائها.. وبذلك تأخر تناول الجرعة الأخيرة القاتلة أربعًا وعشرين ساعة عن الموعد الذي توقعه القاتل.. وبسبب هذا التأخير. وقع الدليل الأخير.. أو الحلقة الأخيرة في السلسلة في أيدينا.

وبينما حبس كل إنسان في المكان أنفاسه، أخرج "**بوارو**" من جيبه ثلاث شرائح من الورق وهو يلوح بها:

– ها هوذا الدليل الأخير يا أصدقائي.. إنه رسالة بخط القاتل.. ولو كانت عبارات الرسالة أكثر وضوحًا، لأمكن للسيدة "**إنجلثروب**" أن تأخذها في الوقت المناسب وتنجو. ويبدو أنها أحسّت بالخطر، ولكنها لم تعرف نوعه.

ووسط السكون التام، وضع "**بوارو**" الشرائح الثلاث جنبًا إلى جنب، وقرأ فيها بصوت واضح:

«عزيزتي "**إيفيلين**"...

لا شك في أنك قلقة إذ لم يبلغك شيء، ولكن كل شيء على ما يرام، سوف نقضي أيامًا سعيدة عند موت المرأة العجوز، ولن يكون في استطاعة أحد أن يثبت الجريمة ضدي. لقد كانت فكرتك عن البروميد رائعة... بل إنها تدل على عبقرية

فذة.. إنما يجب أن نظل دائمًا على حذر.. فإن أي خطأ...»

انتهت الرسالة عند هذا الحد أيها الأصدقاء... ومما لا شك فيه أن الكاتب فوجئ بقدوم شخص لم يكن يتوقعه... أما شخصية القاتل فواضحة؛ لأننا جميعًا نعرف خطه.

وفي هذه اللحظة، مزق السكون صوت يصيح:

– أيها الشيطان! كيف عثرت عليها؟

وسقط أحد المقاعد، ووثب "**بوارو**" من مكانه بخفة فسقط مهاجمه على الأرض.

وقال "**بوارو**" في هدوء:

– سيداتي وسادتي... اسمحوا لي أن أقدم لكم القاتل... السيد "**ألفريد إنجلثروب**".

– أيها الوغد "**بوارو**"! كم أود أن أخنقك!! لماذا خدعتني وحجبت الحقائق عني على هذا النحو؟

- 12 -

كنا جلوسًا في قاعة المكتبة بعد أن مررنا بأيام عصيبة.

وفي الغرفة التي تحتنا، كان "**چون**" و"**ماري**" معًا وقد التأم شملهما مرة أخرى.. بينما كان "**ألفريد إنجلثروب**" و"**إيفيلين هوارد**" في السجن في انتظار المحاكمة. ولم يجبني "**بوارو**" على الفور، بل صمت طويلاً قبل أن يقول:

– إنني لم أخدعك يا صديقي.. وإنما تركتك تخدع نفسك.

– ولكن لماذا؟!

– لأنك صريح وصادق، ويستحيل عليك إخفاء مشاعرك... ولو كنت صارحتك بآرائي، لقرأ "**إنجلثروب**" في وجهك كل شيء.. ولذهبت آمالنا في

الإيقاع به أدراج الرياح.

– على كل حال كان يمكنك أن تدلي ببعض التلميحات.

– ذلك ما فعلته مراراً يا صديقي... ولكنك لم تعرني اهتماماً.. ألم أقل لك إنني واثق ببراءة "**چون كافنديش**" ؟ ألم أقل مراراً إنني لا أريد أن يقبض على.. "**إنجلثروب**" الآن؟

– هل تعني أنك كنت ترتاب فيه منذ ذلك الوقت؟

– نعم، لسبب بسيط هو أنه أكثر من يستفيد من موت زوجته، ولكنني عندما اكتشفت أن السيدة "**إنجلثروب**" هي التي أحرقت الوصية اهتزت ثقتي بأن "**إنجلثروب**" هو القاتل، والواقع.. أن الأدلة ضده لم تكن من الكثرة والوضوح بحيث أيقنت أنه ليس القاتل.

– ومتى غيرت رأيك؟

– عندما وجدت أنني كلما عملت على تبرئته.. بذل هو مزيداً من الجهد لكي يُقبض عليه... وتحولت شكوكي إلى يقين عندما اكتشفت أن العلاقة الغرامية كانت بين السيدة "**ريكس**" و"**چون كافنديش**".. لا بينها وبين "**إنجلثروب**".

– ولكن لماذا؟!

– لأنه لو كانت العلاقة مع "**إنجلثروب**"... فإن صمته يكون مفهوماً.. ولكنني اكتشفت أن القرية كلها تتحدث عن علاقة "**چون**" والسيدة "**ريكس**"، وإذن لابد أن يكون لصمت "**إنجلثروب**" معنى آخر.

وعندما فكرت في الأمر ملياً، أدركت أنه أراد أن ينظر المحقق إلى هذه العلاقة المزعومة كسبب لإقدامه على التخلص من زوجته فيقبض عليه بتهمة القتل.

– ولكن لماذا أراد أن يقبض عليه؟

– لأن قوانين بلادكم تمنع محاكمة الإنسان مرتين للتهمة نفسها.. كانت فكرته رائعة وتدل على أنه رجل منظم العقل... لقد افتعل ضد نفسه طائفة من الأدلة

الزائفة؛ لكي يقبض عليه ويحاكم.. وحينئذ يظهر زيف الأدلة ويحكم ببراءته فيظل في أمان بقية حياته.

– ولكن كيف يستطيع إثبات براءته وهو الذي ذهب بنفسه إلى صيدلية القرية؟

– ألم تفهم بعد أيها الصديق أن "**إيفيلين هوارد**" هي التي ذهبت إلى الصيدلية؟

– "**إيفيلين هوارد**"؟!

– وهل يمكن أن يكون هناك سواها؟ إن لها صوتًا خشنًا كأصوات الرجال، ثم إنها ابنة عم "**إنجلثروب**" وبينهما تشابه واضح وخاصة في القامة والمشية.

– وحكاية "**البروميد**"... كيف تمت؟

– إنني أميل إلى الاعتقاد بأن "**إيفيلين هوارد**" كانت هي العقل المدبر، ولقد علمت أن أباها كان طبيبًا، ولعلها قرأت في أحد كتبه أو أحد كتب الآنسة "**سنثيا**" عن موضوع "**البروميد**" وأثره في ترسيب "**الأستركنين**". ولم يكن أيسر عليه من وضع "**البروميد**" في زجاجة الدواء لزوجته دون أن يرج الزجاجة.. أما "**إيفيلين**" نفسها فإنها افتعلت مشاجرة مع السيدة "**إنجلثروب**"؛ لكي تغادر القصر وتصبح بمنأى عن الشبهات... وكان ذلك هو السبب المباشر في ضياعهما، إذ لولا رسالة "**إنجلثروب**" إليها لما أمكن إقامة الدليل ضدهما.

وأشعل "**بوارو**" لفافة تبغ، واستطرد قائلاً:

– لقد حاولا إلصاق التهمة بـ"**چون كافنديش**" بشراء "**الأستركنين**" من صيدلية القرية والتوقيع على سجل الصيدلية بخط شبيه بخطه، وكانت "**إيفيلين**" قد تدربت على تقليده. وإمعانًا في تورطه، كتبت إليه كذلك تلك الرسالة التي حملته إلى الذهاب إلى مكان مقفر لا يراه فيه أحد... في الوقت نفسه الذي كانت هي فيه بالصيدلية.

ولما تأخرت المأساة يومًا للأسباب التي سبق أن ذكرتها، انتهز "**إنجلثروب**" فرصة

خروج زوجته، وشرع يكتب رسالة يطمئن فيها شريكته التي خشي أن يستولي عليها الفزع لعدم سماعها نبأ وفاة الزوجة... ولكن الزوجة عادت فجأة فأخفى "**إنجلثروب**" الرسالة في درج مكتبه وأغلق الدرج وخرج وهو لا يتوقع أن تفتح زوجته الدرج وتجد الرسالة. وقرأت السيدة "**إنجلثروب**" الرسالة التي فضحت حقيقة مشاعر زوجها وابنة عمه... ولكنها لم تفهم العبارة الخاصة بـ"**البروميد**"... فلم تأخذ حذرها. وكل ما فعلته أنها كتبت إلى محاميها تطلب إليه مقابلتها في اليوم التالي وقررت إعدام الوصية، واحتفظت بالخطاب الذي يدين زوجها..

– إذن فالزوج هو الذي فتح الحقيبة عنوة للبحث عن الرسالة؟

– نعم، لأنه كان يدرك مدى خطورتها عليه، فهي الدليل الوحيد على صلته بالجريمة.

– هناك أمر لم أستطع فهمه.. وهو لماذا لم يبادر "**إنجلثروب**" إلى التخلص من الرسالة حينما استولى عليها؟

– لأنه لم يجسر على المجازفة بما هو أخطر.. وأعني الاحتفاظ بها في جيبه.

– لم أفهم بعد.

– إنني اكتشفت أنه كان لديه خمس دقائق فقط قبل حضورنا... وقبل ذلك كانت "آني" تعمل في تنظيف درج السلم وكان بوسعها أن ترى كل من يحاول الانتقال إلى الجناح الأيمن.

ولك أنِ تتصور موقفه. إنه فتح باب الغرفة بأحد المفاتيح الأخرى.. وأسرع إلى حقيبة الأوراق ووجدها مقفلة ولا أثر للمفاتيح. وكان ذلك صدمة له، إذ معناه أن وجوده في الغرفة سيكتشف... ولكنه قرر المجازفة بكل شيء في سبيل الحصول على الدليل الوحيد الذي يمكن أن يسوقه إلى المشنقة. وبسرعة جنونية فتح القفل بمطواة، وبحث بين الأوراق، ووجد الرسالة. وهنا واجهته مشكلة جديدة، فهو لا يستطيع الاحتفاظ بالرسالة؛ خوفا من أن تضبط معه إذا شوهد وهو يغادر الغرفة..

كما أنه لا يجد وسيلة للتخلص منها بتدميرها، فما العمل؟ بأسرع من لمح البصر، مزق الرسالة إلى ثلاث شرائح... ولف كل شريحة حتى أصبحت كالقلم الرصاص، ثم غرس الشرائح جميعًا في آنية للزهور كانت فوق المدفاة.. لثقته بان أحداً لن يفكر في البحث في الآنية... وأنه سوف يتمكن من استرداد الشرائح في الوقت المناسب.

– آه! إذن فقد كانت الرسالة تحت أنوفنا طول الوقت ولم نفطن إلى وجودها؟

– نعم، أيها الصديق.. ولكني وجدتها بفضلك.

– بفضلي أنا؟

– نعم، ألم تقل لي إنك رأيت يدي ترتجف بشدة وأنا أعيد تنظيم بعض التحف فوق المدفاة؟

– ولكن ما الصلة بين..؟

فقاطعني:

– سأقول لك ما الصلة.. لقد تذكرت أنني نظمت هذه التحف في الصباح عندما كنت معك في الغرفة.. ولو لم يختل نظامها لما اضطررت بعد ذلك إلى إعادة تنظيمها... إذن لابد أن يداً عبثت بها.

– يا إلهي.. إذن فهذا هو سبب اندفاعك إلى الخارج كالمجنون لكي تصل إلى "**ستايلز**" وتبحث عن الرسالة؟

– الواقع أنني كنت في سباق مع الزمن.

– ومع ذلك فقد كان لدى "**إنجلثروب**" والآنسة "**هوارد**" متسع من الوقت لاسترداد الرسالة من مخبئها...

– كان "**إنجلثروب**" مطمئنًا إلى أن أحداً لن يجدها، ثم إنه لم يشأ الإقدام على أية مجازفة.. أمّا الآنسة "**هوارد**" فإنها لم تكن لتعلم بوجود الرسالة، وكان الاتفاق بينها وبين "**إنجلثروب**" ألا يتحادثا... إذ المفهوم أنهما عدوان لدودان... ولذلك لم يخبرها بأمر الرسالة.

– ومتى بدأت ريبتك في الآنسة "**هوارد**"؟

– عندما علمت أنها و"**إنجلثروب**" أبناء عمومة.. ثم إن بغضها له لم يكن طبيعيًّا.. فادركت أن وراء هذا البغض عاطفة أخرى.. ومن المحقق أنه كان بينهما صلة قديمة، وأنهما دبرا الأمر بحيث يقترن "**إنجلثروب**" بالأرملة الثرية ثم يتخلصان منها.

– ولكنني لا أعلم لماذا حاولا إلصاق التهمة بـ"**جون**" ولم يحاولا إلصاقها بـ"**لورنس**"، لقد كان موقف "**لورنس**" مؤلمًا... وكان مضطربًا طول الوقت.

– هل تعلم لماذا؟

– كلا.

– ألا تعلم أنه كان يعتقد أن "**سنثيا**" هي مرتكبة الجريمة؟

– مستحيل!!

– أبداً.. أنا نفسي ظننت الشيء نفسه.. وقد كنت أفكر في ذلك حينما سألت السيد "**ويلز**" عن الوصية... ثم لا تنس أنها التي اعدت "**البروميد**". وأنها تعرف لماذا أصيب "**لورنس**" بالفزع والذهول عندما دخل غرفة "**إنجلثروب**" بعد تحطيم بابها. إنه ذعر حين رأى أن الباب الموصل إلى غرفة "**سنثيا**" ليس موصداً بالمزلاج.

– ولكنه قال إنه رآه موصداً؟

– تمامًا، وذلك ما أكد أنه لم يكن موصداً... لقد أراد التستر على "**سنثيا**".

– ولماذا يتستر عليها؟

– لأنه يحبها.

فضحكت وقلت:

– على العكس... إنه يمقتها.

– من قال لك ذلك؟

– "**سنثيا**" نفسها.

– وهل كانت حزينة؟

– كلا.. قالت إن ذلك لا يهمها.

– إذن فإنه يهمها كثيراً... ذلك شأن النساء دائماً.

– إن ما تقوله عن "**لورنس**" يدهشني.

– ولماذا؟! ألم تر كيف كان يعبس ويتجهم كلما تحدثت "**سنثيا**" أو ضحكت مع أخيه؟ لقد كان يتوهم أن "**سنثيا**" تحب "**چون**". وعندما دخل غرفة السيدة "**إنجلثروب**" وأدرك أنها مصابة بتسمم، ظن أن لـ"**سنثيا**" ضلعا في تسميمها، خاصة أنها كانت معها في أثناء الليل.. فبادر بتهشيم قدح القهوة بأن داسه تحت قدميه، حتى لا يترك فيه بقية من القهوة يمكن تحليلها، ثم دافع بشدة عن نظرية الوفاة الطبيعية..

– سؤال أخير.. ماذا كانت السيدة "**إنجلثروب**" تعني حين رددت اسم زوجها وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة؟

– كانت تريد اتهامه بطبيعة الحال.

– أظن أنك قد أوضحت كل شيء.. فشكراً لك أيها العزيز "**بوارو**".. وحمداً لله على أن كل شيء قد انتهى بسلام. حتى "**چون**" وزوجته قد تصالحا..

– والفضل في ذلك لي.

– ماذا تعني؟

– ألا تدرك أيها الصديق أن محاكمة "**چون**" كانت الوسيلة الوحيدة للجمع بينهما وإعادة الصفاء إلى حياتهما؟ كنت واثقًا بانه يحبها، وأنها تحبه... ولكن سوء التفاهم فرق بينهما.. ذلك أنها تزوجته دون حب.. وكان هو يعلم ذلك.. ولفرط حساسيته لم يشأ أن يفرض نفسه عليها.. وأخذ يتباعد عنها وأيقظ تباعده حبها. ثم جاءت مغامرته مع السيدة "**ريكس**".. وبدأت الكبرياء تلعب دورها.. وشرعت "**ماري**" توثق صلتها بالدكتور "**باور شتاين**".. هل تذكر يوم أن قلت لك إنني أوشك أن أتخذ قراراً خطيراً؟ كنت يومئذ حائراً بين أن أبرئ "**چون**" أو أن

أدعه يحاكم.. كان بوسعي أن أبرئه وكان ذلك سيؤدي إلى ضياع آمالنا في القبض على المجرمين الحقيقيين.

– أتعني أنك كان بوسعك إنقاذ "چون" من المحاكمة ؟!

– نعم يا صديقي، ولكنني قررت أن سعادة المرأة أهم.. فلم يكن هناك ما يمكن أن يجمع بينهما ويعيد الصفاء إلى حياتهما مثل الشدائد التي تعرضا لها.. إن إسعاد رجل وامرأة هو أهم شيء في هذه الدنيا..

وذكرني هذا الكلام بما حدث قبل ذلك بعدة أيام حين تهالكت "ماري" على الأريكة وهي شاحبة الوجه، لاهثة الأنفاس ثم فُتح الباب ودخل "بوارو" وهو يقول: «هأنذا قد جئت به يا سيدتي..».

وأفسح الطريق، ودخل "چون" وفي غمضة عين كانت "ماري" في أحضانه.

قلت له:

– لا شك في أنك على حق يا "بوارو"... وإن سعادة رجل وامرأة هي أهم شيء في هذا العالم.

وفي هذه اللحظة فُتح الباب فجأة.. ودخلت "سنثيا" وقالت وهي تلهث:

– لقد جئت لأقول لكما..

ولم تتم عبارتها وهجمت عليّ فقبلتني، ثم قبلت "بوارو" وخرجت مسرعة، فنظرتُ إلى "بوارو" في دهشة وسألته:

– ما معنى هذا؟

– معناه أنها اكتشفت أخيراً أن "لورنس" لا يكرهها كما كانت تتوهم.

تمّت بعون الله